الغربةُ وتجليَّاتُ المكان
عند شاعر المهجر الإسباني محمـــود صبـــح
قراءةٌ تحليلية في ديوان:(قبلَ-أثنـاءَ-بعـدَ)

د.شعبان إبراهيم حامد*
shabaanhamid123@gmail.com

ملخص

تناول البحث موضوع(الغربةُ وتجليَّاتُ المكان عند شاعر المهجر الإسباني (محمود صبح) من خلال قراءة تحليلية في ديوان:قبل-أثناء-بعد) ،وجاءت الدراسة في أربعة محاور أساسية هى:

-الغربةُ وتجليَّاتُ المكان/ المهجر عند محمود صبح.

-الغربةُ وتجليَّاتُ المكان/ الوطن عند محمود صبح.

-الغربةُ وتجليَّاتُ المكان/ التاريخ عند محمود صبح.

-الغربةُ وتجليَّاتُ المكان/ الطبيعة عند محمود صبح.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى نتائج أهمها:

-شكَّلت الغربة صورة المكان عند الشاعر محمود صبح، وحددت موقفه منه :شكوى، وحنينًا، وبكاءً وتأملاً.

-استدعت الغربة المكان في شعر (محمود صبح) بأبعاده الأربعة /المهجر/الوطن /التاريخ/الطبيعة، وشكَّلت منه ملمحًا بارزًا من ملامح هذا الشعر.

الكلمات المفتاحية: محمود صبح – ديوان(قبل-أثناء-بعد)- الغربة – المكان

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة المنيا

مقدمة:

تتميز التجربةُ الشعريةُ عند شعراء المهجربأنَّها وليدة ظروف اضطرارية،وغير طبيعية:(سياسية،اجتماعية،اقتصادية) دعت الشاعرإلى الهجرة من موطنه الأصلي إلى بلاد الغربة، حاملًا معه همومه وحنينه إلى وطنه، ومواجهًا حياة أخرى قوامها القسوة والضياع في بلاد المهجر؛الأمر الذي جعل من قضية (المكان) قضية محورية في شعر هؤلاء الشعراء،فقضية شاعر المهجر – في رأي الباحث– قضية مكان؛ مكان تركه قسرًا(الوطن)، وآخر أقام فيه اضطرارًا (المهجر)، الأمر الذي يمكن القول معه بأنَّ التجربة المهجرية في الشعر العربي (تجربة مكانيَّة) تتخذ من (المكان) محورًا لها.

في ضوء ما سبق جاءت فكرة هذا البحث (**الغربةُ وتجليَّاتُ المكان عند شاعر المهجر الإسباني (محمود صبح) دراسة تحليلية في ديوان (قبلَ–أثناءَ–بعدَ)**،بغرض الوقوف على أثر (الغربة) في تشكيل صورة (المكان) عند الشاعر،وتجليَّات هذا الأثر موضوعيًّا وجماليًّا في الديوان مجال الدراسة، ودلالة هذا الأثر على خصوصية التجربة الشعرية عند الشاعر(محمود صبح).

وقع الاختيار على الشاعر(محمود صبح) لعدة اعتبارات أهمها:

–الحضوراللافت والمثير لأثر الغربة في شعر الشاعروبخاصة موضوع (المكان)،ماجعل من هذا الحضور إشكاليَّة بحثية مهمَّة استدعت نظر الباحث من أجل الدراسة.

–انتماء الشاعرإلى فلسطين(الأزمة والقضية)،الأمرالذي أكسب(المكان) في شعره ظلالًا وأبعادًا خاصة،وجعله مكتنزًا بكثير من الإشارات والإيحاءات المهمة التي تثري البحث، فالمكان بالنسبة لشعراء فلسطين بصفة عامة يشكِّلُ معادلًا موضوعيًّا لكثير من المعاني النفسية التي تميزهم عن غيرهم.

-خصوصية الخطاب الشعري في ديوان(محمود صبح) والتي جاءت من خصوصية الشاعر الثقافية والإبداعية على نحو ما سوف يتضح في مهاد هذه الدراسة.

جاءت الدراسة من خلال المحاور الآتية:

- الغربةُ وتجليَّاتُ المكان (المهجر) في شعر محمود صبح.
-الغربةُ وتجليَّاتُ المكان (الوطن) في شعر محمود صبح.
-الغربةُ وتجليَّاتُ المكان (التاريخ) في شعر محمود صبح.
- الغربةُ وتجليَّاتُ المكان(الطبيعة)في شعر محمود صبح.

الجدير بالذكر ينفتح الباحث في هذه الدراسة على المناهج اللسانية الحديثة كالأسلوبية والتداولية والسيميائية ، والتي تنطلق من أرضية اللغة في دراسة النص وتحليله، فتتخذ من وضعية هذه اللغة وتشكلاتها في النص مؤشرًا ودليلاً على الفكرة والقضية التي ينطوي عليها هذا النص وتشغل بال مبدعه.

أولًا:مِهاد:التعريف بالشاعر(محمود صبح) وديوانه:(قبلَ-أثناءَ-بعدَ)[١]

شاعر الدراسة هو (محمود بن محمد بن علي بن خليل صبح) شاعر فلسطيني الأصل من مواليد مدينة (صفد) بفلسطين عام ١٩٣٦، انتقل مع أسرته مبكرًا إلى سوريا بعد نكبة فلسطين الكبرى على يد اليهود عام ١٩٤٨م مثله في ذلك مثل كثير من المبعدين والمُشرَّدين من أبناء فلسطين بسبب هذه النكبة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى بلاد المغرب العربي للعمل والدراسة ، ثم انتهى به الترحال إلى مدريد عاصمة (إسبانيا) حاليًا عام ١٩٦٥م حيث أكمل دراساته العليا بقسم اللغات السامية بكلية الفلسفة والآداب جامعة مدريد المركزية ،وحصل فيها على درجة الدكتوراه في موضوع (الغزل في الشعر الأندلسي) عام ١٩٦٧م ، وعُيَّن مدرسًا في الجامعة ذاتها ثم أستاذًا للدراسات الأدبية والعربية، وعمل منسقا للتعاون العلمي بين جامعة مدريد والجامعات الأخرى ، وتوفى بمدريد عن عمر يناهز الثمانين عامًا.

وقد عُرِفَ الشاعر(**محمود صبح**) بنشاطاته الثقافية والأدبية والعلمية المتنوعة في مدريد ، وقام بترجمة الكثير من الأعمال الأدبية من الإسبانية إلى العربية[٢] ، ودرَّس الشعر العربي بالإسبانية، وألَّف موسوعة في تاريخ الأدب العربي بالإسبانية تقع في أربعة أجزاء تبدأ بالشعر الجاهلي وحتى الأدب العربي المعاصر[٣] ، وكتاب باللغتين العربية والإسبانية تحت عنوان "**ديوان الشعر العربي المشرقي والأندلسي**"[٤]، وكتاب:"**المواضيع والألفاظ العربية في أعمال لوركا الأدبية)**[٥]، وفاز بالعديد من الجوائز التشجيعية على إسهاماته وجهوده في مجال الإبداع الشعري والأدبي.[٦]

ولاشكَّ أنَّ ثقافة الشاعرتفتح له آفاقًا جديدة ،وتلهمه تجارب عديدة ،لاسيِّما إذا كانت هذه الثقافة متعلقة بلغات وآداب أجنبية أخرى كما هو الحال عند الشاعر (**محمود صبح**) مع اللغة الإسبانية ،كذلك تؤثر في إبداعه،فيأتي إبداعًا متميزًا يرتكز على خلفية ثقافية تصقل مفرداته وصوره ومعانيه.

وقد أرجع الدكتور محمد مندور سر تميز شعراء المهجر بصفة عامة في شعرهم إلى ثقافتهم وإلمامهم بلغات البلدان التي هاجروا إليها وهضمها والاستفادة منها في إبداعهم[٧] حتى قال:"وإنَّك لتقرأ الجملة لهم فتحس أنَّ خلفها ثروة من التفكير والإحساس"[٨].

فنحن أمام شاعر يأتي في مصاف الشعراء الأعلام من أبناء وطنه فلسطين مثل:محمود درويش ، وإبراهيم طوقان،وفدوى طوقان، وعز الدين المناصرة، وغسَّان كنفاني وغيرهم من هؤلاء الشعراء الأفذاذ الذين أثروا الحياة الأدبية المعاصرة بشعرهم ، وشكَّلوا منارات لأبناء جيلهم.

ويُعدُّ ديوان (**قبل-أثناء-بعد**) هو الجامع للتجربة الشعرية عند (**محمود صبح**)، ونلاحظ أنَّ عنوان الديوان جاء في صورة غير نمطية ،ما يعكس خصوصية التجربة الشعرية عند هذا الشاعر،ورغبته في التميز والتفرد، فقد جاء العنوان مكونًا من ثلاث كلمات تحيل إلى أزمنة مختلفة هى (الماضي والحاضر

والمستقبل) أي: قبل المهجر، وأثناء المهجر، وبعد المهجر (وهى القصائد التي ألَّفها الشاعر بالإسبانية ، ثم قام بترجمتها إلى العربية)[٩].

واضح أنَّ تسمية الديوان بهذا العنوان الذي يحمل دلالة زمنية يعكس تعدد المحطات الزمنية المختلفة في حياة الشاعر ، وأنَّ حياته لم تكن تعرف الاستقرار أو التوطن ، فقد ذاق مرارة الغربة منذ نعومة أظفاره ولم يستقر الحال به حتى توفى في مدريد بإسبانيا ، فهو شاعر المهاجر الثلاثة[١٠] (فلسطين –الوطن العربي – الأندلس) كما كان يحب أن يلقب نفسه.

كما أنَّ تسمية الديوان بهذا العنوان الذي يحمل الطابع الزمني ، يعكس أثر (الزمن) في التكوين النفسي والوجداني عند الشاعر.،كذلك أثر الغربة فيه وفي شعره فقد "تفتحت عينا شاعرنا على نكبات فلسطين وضياع القدر الأكبر منها ، لذا فهو شاعر مأساوي منذ نعومة أظفاره ، وهو شاعر الرحيل والهجر، لم يثبت له مقر من صفد إلى دمشق إلى الجولان إلى حمص إلى الدار البيضاء إلى وهران ثم إلى مدريد". [١١]

الجدير بالذكر،لم تكن هجرات الشاعر(محمود صبح)" تنزهًا ومتعة بل كانت نقلات ضياع وطرد مكتوية بلهيب الغربة والاغتراب تتقاذفها عواصف التهديد والحيرة والبحث عن مأوى"[١٢]

ولعل كثرة هجرات الشاعر هذه هى التي كانت سببًا وراء بروز (قضية المكان) في شعره، فقد عايش في كل هجرة من هذه الهجرات مكانًا تأثر به، وترك في وعيه بصمة خاصة.

وعلى الرغم من أنَّ عنوان الديوان يحمل دلالة زمنية واضحة ،فإنَّه يتضمن بصورة ما الإشارة إلى (المكان) ، فكل زمن في العنوان يقابله (مكان) عاش فيه الشاعر، وأقام معه علاقة خاصة.

ثانيًا:المبحث الأول :الغربةُ وتجليَّاتُ المكان (المهجر) في شعر محمود صبح:

استدعت الغربة المكان(المهجر) إلى فضاء النص الشعري عند محمود صبح،وشكلت موقفه من هذا المكان، ورؤيته له ؛ فقد برز هذا المكان في صورة سلبية ومأزومة،تشئ بضيق الشاعر منه، وشعوره فيه بالضياع وفقد الذات، لأنَّ "الغريب كالغرس الذي زايل أرضه،وفقد شِربه، فهو ذاوٍ لا يثمر، وذابل لاينضر"[١٣].

ونظرًا لسلبية هذا المكان(المهجر) في حياة الشاعر، فإنَّه لم يحضر في شعره من خلال محدداته المادية والحسية، أو من خلال علميته واسمه،إنَّما حضر من خلال وصف الشاعر لوقعه السئ ،ومردوده السلبي على نفسيته ،وهو ما يتضح–على سبيل المثال– في قصيدة **(لا صدى للصوت)**[١٤]التي يقول فيها :[١٥]

هنا الأشياءُ لا معنى لها.
هنا الأبعادُ راحت تتساوى
هنا الأنهارُ لا تجري
فلا ماءٌ ولا نبعٌ لها.
لا منتهى
كُلُّ شئ جفَّ حتى نفسي
حتى جذوري،
وكياني يتهاوى
لم يكن لي من جذور
لم يكن لي من كيان
فأنا ظلٌ لمَّا لم يأت بعد
وأنا نسخٌ لمشروع ولادة
لم أعد أذكر،هل كنتُ هنا؟

أم تراني بعد حين سأكون؟

ثم يقول:[١٦]

هَهُنا الأشياءُ أشباحُ جنون

وأنا لستُ أنا

كُلَّما أوجدتُ بعدًا ضاع بعدُ.

والأغاني هَهُنا

فقدتْ كُلَّ المعاني

هُنا الإنسانُ بغير إرادة

فلماذا تُرسلُ الصيحات في جوف المغاور؟

لا صدى للصوت

إذ لا ريح تعدو

لا تغامر

ليس يجدي العالم الآتي مغامر.

إذا نظرنا إلى هذه القصيدة من خلال قراءة نقدية متأنية،نلحظ أنَّها تعكس إلى أي مدى كان يمثل المكان (المهجر) أزمة في حياة الشاعرجعلته يعيش حالة من الشعور بالضياع ،والإحساس بفقد الذات، وأول ما يتجلى هذا الشعور يتجلى في (العنوان) لدلالته على المعنى في القصيدة لموقعه المتميز منها[١٧]،فهو يشغل موقع الصدارة ، فهو أول ما تقع عليه عين القارئ والمتلقي من القصيدة ،وهو يقوم بدور مهم وفاعل في استمالة هذا القارئ، وهذا المتلقي تجاه القصيدة ، فإذا كان العنوان جاذبًا في مبناه ومعناه أقبل القارئ على القصيدة ، وإذا كان غير ذلك انصرف القارئ عن القصيدة.؛ لذلك كان العنوان صناعة في القصيدة المعاصرة بالذات لما تحمل من قضايا وهموم لم تكن تشغل الشاعر القديم.

فإذا جئنا إلى عنوان القصيدة التي بين أيدينا (**لا صدى للصوت**) نجد أنَّه معبرٌ في معناه عن (**الأنا الضائعة**) عند الشاعر بسبب حياة المهجر،فعندما لا يكون للصوت صدى فمعناه الانعدام وعدم التأثير،أي أنَّ حياة الشاعر في المهجر، وبعيدًا عن وطنه (فلسطين) أصبحت عديمة القيمة والأهمية والأثر، فالإنسان يأخذ قيمته من بقائه في وطنه وليس بعيدًا عنه ، فالوطن هو الذي يمنح الإنسان وجوده الحقيقي ، فإنسانٌ بلا وطن هو إنسان بلا هُويَّة، وبلا وجود، وبلا أثر، وبلا حياة [١٨].

هنا يتخطى العنوان دلالته اللغوية الضيقة ،وينفتح على آفاق أوسع من الدلالات والإشارات فيعبر عن مأساة المُهجَّرين من أوطانهم بسبب الاحتلال كما هو الحال مع شعب فلسطين ،وغيره من الشعوب المقهورة،وهنا يتحول (العنوان) من مجرد وظيفة تعينيَّه و إغرائية في النص إلى خطاب يعبر عن مكنونات عديدة داخل نفس الشاعر.

وهنا تبرز أيضًا أهمية الاستعمال للغة "إذ تكون العلامة اللسانية في اللغة دالًا ذا مدلول واحد في حين تتعدد مدلولاتها في مستوى الخطاب؛ لأنَّه ميدان استعمالها"[١٩]، فالاستعمال والتداول هو الذي يحدد معاني العلامات، ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذه العلامات في إطار الخطاب.

كما نلمح دلالة استحضار الشاعر لظاهرة (صدى الصوت) للتعبير عن موقفه من المكان (المهجر) ، وذلك على وعيه بأهمية مخاطبة القارئ والمتلقي بالمحسوس في الطبيعة ؛ لقدرة هذا المحسوس على التعبير عن المعنى وتقريبه.

ثم تتوالى أبيات القصيدة في إبراز حالة الشعور بالضياع عند الشاعر من خلال (ظاهرة التكرار) التي تعد إحدى الظواهر الأسلوبية المهمة التي يلجأ إليها الشاعر للتعبير عن المعنى المقصود عنده والتأكيد عليه ، فالتكرار " إلحاح من جانب الشاعر على جهة بعينها في العبارة "[٢٠]، وهو يضع بين أيدينا"مفتاحًا للفكرة

المتسلطة على الشاعر"[٢١]،ما يجعل المتلقي أكثر تأثرًا بالمعنى المرسل إليه من ناحية الشاعر، وقبولًا له واقتناعًا به.

فنلمح تكرار اسم الإشارة (هنا) الذي يحيل إلى المكان (المهجر) ست مرات،ثلاثٌ منها مقترنة بـ (ها) التنبيه ،ومثل هذا (التكرار) بهذا العدد هو بمنزلة إلحاح من جانب الشاعر على لفت نظر القارئ والمتلقي إلى حالة المعاناة التي يعيشها في (مهجره)، وموقفه المأزوم من هذا المكان.

فاسم الإشارة (هنا) حسب النظرية التداولية أحد (الإشاريات المكانية)[٢٢]المهمة التي تسهم في إنتاج المعنى المراد في حالة الخطاب بين المتكلم والسامع، ويُعوَّلُ عليها كثيرًاأثناء عملية التخاطب،مثلها في ذلك مثل الإشاريات (الزمنية) والإشاريات (الاجتماعية).

و(الإشارياتُ)–بصفة عامة–لاتُعرف مرجعيَّتُها إلَّا في سياق الخطاب، وبحضور طرفي عملية التواصل : المتكلم والسامع[٢٣]،وفي حالة عدم حضور طرفي التواصل يُعوَّلُ على السياق العام للنص في فهم مرجعيتها، كما هو الحال في هذه القصيدة، كما " أنَّ اسم الإشارة بطبيعة دلالته يحدد المراد منه تحديدًا ظاهرًا ويميزه تمييزًا كاشفًا"[٢٤]،ما جعل اسم الإشارة (هنا) في النص يسهم في الكشف عن مراد الشاعروقصده من استدعائه ، وهو التعبير عن ضيقه الشديد بحياة المهجر.

وقدأفاد تكراراسم الإشارة (هُنا) الذي يحيل إلى المكان (المهجر) كما سبق الإشارة تعدد المظاهر السلبية لهذا المكان ، وتعدد زوايا إحساس الشاعر بها،فكل تكرار يبرز مظهرًا من مظاهر هذه السلبية ،ما يدل على أنَّ (التكرار) لم يأت من أجل التكرار ذاته أو لفقر لدى الشاعر في البنيات اللغوية ،وعجزه عن الإتيان بالجديد منها،إنَّما جاء ليحقق مهمة في النص، ويلبي قصدية عند الشاعر هى التنبيه عن معاناته وأزمته في بلاد المهجر، فالتكرار إن لم ينتج في النص دلالات

جديدة، يصبح مجرد حشو لغوي لا طائل منه،فـ"القوة التعبيرية تضعف وتتلاشى في معظم الأحيان بالتكرار".[٢٥]

ففي(هنا)الأولى(**الأشياءلامعنى لها**)،وفي(هنا)الثانية(**الأبعادُ راحت تتساوى**)،وفي(هنا) الثالثة (**الأنهارُ لاتجري**)،وفي (هَهُنا) الرابعة (**الأشياء أشباح جُنون**)،وفي (هَهُنا) الخامسة:(**الأغاني فقدت كُلَّ المعاني**)،وفي(هَهُنا) السادسة (**الإنسان بغير إرادة**).

نلاحظ أنَّ كُلَّ متعلقات (هنا) يجمعها قاسم مشترك هو السلبية وعدم الإيجابية، وقد أسهمت في رسم صورة سلبية للمكان (المهجر) ما يعكس حالة الضياع عندالشاعر،وتأزم نفسه وتوترها بسبب هذا المكان، فالإنسان يرى الأشياء من خلال نفسه ،وليس من خلال بصره.

كما نلاحظ أنَّ استعمال الشاعرلاسم الإشارة (هنا) للدلالة على المكان (المهجر)دون ذكر اسمه فيه نوع من الذم لهذا المكان والتحقير له، فالشاعر عندما ينيب (اسم الإشارة) عن (اسم المكان) فإنَّه يعبر بذلك عن ضيقه من هذا المكان،فهو لايستطيع أن ينطق باسمه، فقد حضرهذا المكان (المهجر) في شعر الشاعر،كما سبق الإشارة، من خلال وقعه السلبي على نفسيته، وليس من خلال محدداته المادية أو الحسية.

كما أنَّ عملية التجهيل لهذا المكان(المهجر) من جانب الشاعر عن طريق استعمال اسم الإشارة (هنا) فيها إثارة لذهن السامع والمتلقي، ورغبة من الشاعر في البحث عن مرجعية هذا الاسم.

كما نلمح تكرار ضمير المتكلم (أنا) الذي يحيل إلى ذات الشاعرأربع مرات،وتكرار(ياء المتكلم) التي تحيل إليه أيضًا ست مرات ، كما في قوله:(كياني– جذوري– نفسي – تراني– لي–لي)،ما يدل على رغبة الشاعرفي الحضور في الخطاب لإقناع المخاطب والمتلقي بحالة الضياع التي يعيشها في المهجر.

فالإنسان لا يتكلم بضمير (الأنا) إلَّا إذا كان يريد لفت النظر إليه، فهو من الضمائر الشخصية التي تعبرعن صاحبها بصورة مباشرة،ولا تحتاج إلى مزيد من التأويل في معرفة مرجعيتها،وحضوره في النص يعني الرغبة في حضور الذات المتكلمة والمرسلة للخطاب لأغراض تداولية،قد يكون بغرض إظهار العظمة من جانب المتكلم ،كما في قوله تعالى في معرض حديثه عن ذاته سبحانه وتعالى "**إنني أنا اللهُ لا إلهَ إلَّا أنا فاعبدني وأقمْ الصلاةَ لذكري**"[٢٦]، وقد يكون بغرض إظهار الشكوى والرغبة في استعطاف الآخرين كما هو الحال مع (أنا) الشاعر في القصيدة.،"فالضمير الشخصي دليل على الحضور والوجود والكينونة بينما الضمير غير الشخصي يعبر عن الغياب والحياد واللإندماج".[٢٧]

ومن اللافت أنَّ كُلَّ متعلقات الضمير(أنا) جاءت أيضًا سلبية وسوداوية كما كان الحال مع متعلقات اسم الإشارة (هنا)، ما يدل على التأثير السلبي للمكان (المهجر) في الشاعر، ف (أنا) الأولى: (ظلٌ لمَّا لم يأت بعد)،و(أنا) الثانية : (نسخٌ لمشروع ولادة)، و(أنا) الثالثة والرابعة :(أنا لست أنا).

هكذا تجلى الشعور بالضياع عند الشاعر من خلال توظيفه العلامة اللغوية توظيفًا تداوليًا يقصد من ورائه التأثير في القارئ والمتلقي،كما نلاحظ دلالة اعتماد الشاعر على (الجملة الاسمية) في التعبير عن المعنى لدلالتها على الثبات ولزوم الصفة ،أي أنَّ وحشة المكان (المهجر) ملازمة للشاعر لزومًا لا يكاد يفارقه، كما أنَّ من خصائص الجملة الاسمية[٢٨] نقل المعنى والإحساس إلى القارئ والمتلقي دفعة واحدة، ما يجعلها أكثر تأثيرًا في المتلقي وأكثر توجيهًا له.

ومن اللافت أنَّ قصيدة (لاصدى للصوت) ترجمت مظاهر الغربة الخمس التي أشار إليها أحد الباحثين [٢٩]: العجز،واللامعنى،واللامعيارية ،والعزلة الاجتماعية، والاغتراب عن الذات، فكل هذه المعاني ترجمها الشاعر من خلال القصيدة السابقة، وهى تعكس الطبيعة السلطوية للمكان،فليس المكان مجرد حيز

مادي صامت، إنَّما هو مؤثر وفاعل في الإنسان سلبًا أو إيجابًا، فالإنسان ابن المكان[٣٠].

الجديربالذكرأنَّ المكان (المهجر) يقف وراء حالة اليأس التي ملأت ديوان الشاعر، والتي كانت صدى لموقفه المتوتر والمأزوم من هذا المكان ، كما هو الحال في قصيدة (إرث) التي يقول فيها:[٣١]

يا والدي ،ما ذا تركت لي من إرثٍ؟
أرضًا تحت قدمي صارتْ غُبارًا،
سماءً في عيني قد استحالتْ إلى رماد،
بيَّارة برتقال في يدي قد أصبحت لهيبًا،
بحرًا ميتا؟

نلمح عبارات اليأس والشعور بالضياع تملأ فضاء هذه المقطوعة الشعرية مثل:أرضًا صارت غبارا، سماءً استحالت إلى رماد ، بيَّارة برتقال أصبحت لهيبًا،فكُلُّها تحولات سلبية تعكس الحالة النفسية المأزومة التي أضحى عليها الشاعر جراء حياة الغربة .

ثم نلمح دلالة قوله :(بحرًا ميتًا) على الضياع والفناء.، فالبحر عندما يموت معناه توقفه عن التدفق والعطاء وعدم تجدد مياهه ، ولذلك سُمى البحر الميت بالأردن بهذا الاسم لعدم تجدد مياهه من أي مصدر ، فالكلمة تحولت إلى رمزبالنسبة للشاعر.

وفي قصيدة أخرى بعنوان (انتحار)[٣٢] تتجلى حالة اليأس عند الشاعر، فيقول:[٣٣]

هذه الليلةُ أودُ الاعتراف
فكلُّ العالم آذان
البحر يوسع عدسته الشفافة ،

النجومُ تومئ إلى السماء بأن تنصت،
الرمالُ يزحم بعضها بعضا،
النسيمُ يتهيأُ لحمل الرسالة
هذه الليلة أود الاعتراف
لقد قتلتك في ذاتي
وهأنذا أنتحر،
وأنتحر،
وأنتحر

نلاحظ أنَّ الألفاظ والمفردات والتراكيب تعج بدلالات الحزن والقتامة، وليس أدل على ذلك من اعتراف الشاعر بالانتحار مكررًا الفعل (أنتحر) ثلاثًا للتأكيد على الفعل والحدث ، وقطع الشك لدى القارئ والمتلقي ، كما نلمح دلالة قوله "هأنذا" على الرغبة في التأكيد على الحضور،ولفت النظر إليه ، فالهاء للتنبيه ، وأنا ضمير متكلم يحيل إليه ، وذا اسم إشارة ،وقد أفاد هذا التركيب الثلاثي التمثيل وتصوير الحدث،وكأنَّه أمر يتم بالفعل،.وأدخل لونًا من الحركة على الكلام في البيت، كما أنَّ استعمال صيغة الفعل(المضارع) تدل على الحضور والآنية، كأنَّ عملية الانتحار تتم الآن أمام عين القارئ والمتلقي ، مما يجعل المعنى أكثر تأثيرًا فيهما.

وفي قصيدة بعنوان (صفر آخر)[٣٤] يقول الشاعر مخاطبًا نفسه ، كاشفًا عن شعوره باليأس بسبب الغربة[٣٥]:

إلى أين تمضي مُجرجرًا وجودك المعكوس؟
انزع عنك أقنعة مواطن العالم،
فأنت لست سوى فلَّاح من الجليل
مغروسًا في أرضك
خشية أن تقتلعك الريح

وخوفًا من الزمن

عيناك حبتا زيتون من زيتونة عتيقة

لها الآن اسم آخر.

قدماك خطوة إلى الأمام وخطوتان إلى الوراء.

لكن ،ما العمل؟

أأنادي على السماء التي هى زجاج هش أصم؟

أأستدعي الطين الذي صار أرقامًا؟

–واحد ضرب واحد يساوي صفرًا–

لكن، ما العمل؟

ثم ينادي فيقول:[٣٦]

يا أرواحَ كل المتقنعين،

يا مواطني العالم كله ،

مَنْ يستطيع أن يشتري مني هاتين الزيتونتين

بقبرٍ في أرضي؟

أو مَنْ منكم يعلمني السير قدمًا

عبر عالمكم الذي ليس هو بعالمكم؟!!

نلاحظ في هذه القصيدة المهمة مدى الشعور بالخوف والضياع واليأس عند الشاعر بسبب حياة الغربة،ويكفي في ذلك الاستفهامات المثيرة في قوله:(إلى أين تمضي مجرجرًا وجودك المعكوس؟) ، وقوله: (لكن ، ما العمل؟) ويكفي قوله:(–واحد ضرب واحد يساوي صفر–) ، فمثل هذه الأقوال وغيرها تدل على عدم جدوى الحياة بالنسبة للشاعر وشعوره بالضياع فيها ، ويكفي قوله أيضًا (من يستطيع أن يشتري مني هاتين الزيتونتين بقبرٍ في أرضي)،فعندما يكون شراء (القبر) هو غاية الشاعر وأمله ،وعندما يكون ثمن هذا القبر هو عيناه اللتان هما (زيتونتان) كما أشار،فهذا قمة الشعور بالضياع والإحساس بالفقد

بسبب حياة الغربة ، فالإنسان لايعرض(عينيه) للبيع إلَّا إذا بلغت به الحاجة مبلغها.

كذلك الأمر في قصيدة بعنوان:(طوفان)[٣٧] تتجلى هذه الحالة من اليأس عند الشاعر بسبب المكان (المهجر) فيقول:[٣٨]

يُدركُنا الليلُ المُرعبُ
كما الموتُ الذي نحمله في ذواتنا وعلى كواهلنا،
مثل الزمنِ الذي يحاصرنا بأرقامه
فيا أيُّها الهالكون
حتامَ نظلُّ نخضع للظروف والأرقام؟
وكيف نفرُّ من مصيرنا المحتوم
طالما أنَّ مصيرنا هذا قد كُتب في النطفة العمياء
وإرثه يسري بين متاهات الكون والرحم؟
ليس لنا من نجاة إلَّا في الطوفان
وهذا هو اليَمُّ تحت أقدامنا
إنَّي أبدأُ بإغراق نفسي...

هكذا نلمح من خلال القصائد السابقة حالة اليأس الشديدة التي عاشها الشاعر بسبب حياة الغربة والتي جعلت من قصائده بكائيات وأحزان وأشجان ، ويكفي قوله الأخير في القصيدة السابقة:إ(نِّي أبدأ بإغراق نفسي....)، فالإنسان لايُقدم على إغراق نفسه إلَّا إذا كان قد وصل إلى حالة شديدة من اليأس والقنوط ، ونلمح دلالة قوله:(إنَّي) على التأكيد على فعل الإغراق بذاته.

هكذا تجلى المكان(المهجر) في شعر(محمود صبح) مشكلًا معادلًا موضوعيًا لكل معاني الخوف والضياع وانكسار الذات ،مما يدل على أنَّ

المهجر لم يكن بديلًا مستساغًا بالنسبة للشاعر عن وطنه فلسطين، وأنَّ إقامته فيه كانت على غير رغبة فيه.

ثالثًا:المبحث الثاني–الغربةُ وتجليَّاتُ المكان (الوطن) في شعر محمود صبح:

وقفت الغربة بألامها وعذاباتها وراء استدعاء المكان (الوطن) في شعر محمود صبح، فقد حضر هذا المكان مشكلًا معادلًا موضوعيًا للأمن النفسي والحياتي والعاطفي المفقود عند الشاعر بسبب الغربة ، فقد رأى الشاعر في ذكره، والحديث عنه مهربًا من آلام هذه الغربة، وأوجاعها كنوع من التعويض النفسي

ونظرًا لمنزلة هذا المكان(الوطن) بالنسبة إلى نفس الشاعر وقلبه،فقد حضر في شعره بصورة لافته ،ومن خلال اسمه، ومحدداته المادية والحسية، متخذًا منه موضوعًا للحنين، على خلاف المكان السابق (المهجر) الذي اتخذ منه موضوعًا للشكوى،مما يدل على تغير الموقف والرؤية لدى الشاعرتجاه المكان.

ومن ملامح تجليَّات هذا المكان (الوطن) عند الشاعر حالة الحنين الشديدة إليه،والتي استوعبتها كثير من نصوص الشاعر في الديوان مثله قوله[٣٩] في قصيدة **(حولية الزمن الردئ)**[٤٠]:

أبدًا أحِنُّ إلى ثرى وطني لا أنفكُّ أبكي والحنينُ بُكاءُ

نلاحظ دلالة قول الشاعر(أبدًا) وقوله(لاأنفكُّ) على الديمومة والاستمرار في الحنين والبكاء، ما يدل على شدة الشوق والحنين إلى هذا الوطن، والتعلق الدائم به، كما نلمح دلالة إضافة كلمة وطن إلى (ياء المتكلم)التي تحيل إلى ذات الشاعر على الرغبة في إظهار الانتساب لهذا الوطن، كما أنَّ استعمال كلمة(ثرى) يوحي بدلالة التقديس من جانب الشاعر لوطنه (فلسطين).

وفي قصيدة بعنوان (سونيتو –قصيدة)[٤١] يدخل الشاعر في حالة من المناجاة مع وطنه، مناديه باسمه الصريح (فلسطين)، مستذكرًا مظاهر الجمال فيه، فيقول[٤٢]:

يا فلسطينُ هل نبحث في المنجى[٤٣] الظليل
عن كروم في الجليل، عن دوالٍ في الخليـل
عن حصن الزيتون، أم عن برتقالٍ، أم نـخيل
عن مصير ههنا ،أم زمن ماض جميـــل؟

نلاحظ أنَّ الشاعرأتى بمفردات الطبيعة الفلسطينية كعلامات على هذا الوطن مثل : كرومٍ في الجليل . دوال في الخليل – حصن الزيتون– برتقال– نخيل، مما يدل على خصوصية الطبيعة في هذا الوطن من ناحية،وعلى اشتياق الشاعر لوطنه وأرضه من ناحية أخرى ، فالكلمات مُحمَّلة بدلالات الشوق والحنين إلى هذا الوطن ، فقد تحولت الكلمات إلى رموز على العلاقة الخاصة التي تربط الشاعر بوطنه ،ما يمكن اعتباره حالة خاصة في استعمال اللغة لدى الشاعر، فقد أخرج الكلمات من حياديتها ودلالتها اللغوية الضيقة إلى دلالات أرحب.

ثم يقول الشاعر في القصيدة ذاتها معلنًا موقفه المشتاق من وطنه:[٤٤]

إنَّني أبحثُ عن أرضي ، إلى بيتي أهفو
إنَّني ألمحُ في كُلَّ مُحيًّا، أستشفُّ
في المآقي أسرتي تحنو، فلسطين تَرِفُّ
وطني الضائع ينمو في المدى، في البحر يطفو

نلاحظ دلالة التعبير بقوله **(إنني)** وتكراره مرتين على حضور ذات الشاعر في الكلام ، وتعلقه بالفعل وهو :البحث عن أرضه ،الهفو إلى بيته،اللَّمحُ في كُلِّ مُحيًّا عن أسرته ووطنه.، كما أنَّ في تعدد الأفعال المنسوبة إلى ذات الشاعر في قوله(إنني) (أبحث/ أهفو/ألمح/أستشف/) ما يدل على لوعة هذه

الذات وحنينها الجارف إلى الوطن، كما أنَّ زمن هذه الأفعال وهو(المضارع) يدل على استمرارية أحداث هذه الأفعال.

ثم يقول:[٤٥]

هذه "المنجى" مناجاة فلسطين الجليلة

حيث أحيا ذكرياتي في الطفولـــــة

بحري الميت حيٌّ، لم تعدْ أرضي قتيلة

ثم يختتم القصيدة بقوله:[٤٦]

وفلسطينُ بقلب الكون روحُ القدس

عربيٌّ مشرقيٌّ أنا أم أندلســـي؟

متنبي أم (كيبدو)[٤٧] كُلُّ نفس نفسي

ونلمح حالة الحنين هذه إلى المكان الوطن (فلسطين) عند الشاعر في قصيدة أخرى بعنوان (**أذكرُ**)[٤٨] والتي يقول فيها:[٤٩]

أذكرُ طعمَ السعتر[٥٠] المعجونِ بالزيت

أشتاقُ ، أشتاقُ إلى البيت

كان هناك

قُرب عين المدرسة

ما زلتُ أذكرُ الحروف

أذكرُ الرفاق

ولعبة العسكر واللصوص في الزقاق

سال دمي هناك

عند مدخل الزقاق

هناك قرب المدرسة

ما زلتُ أذكرُ الحروف

والدماء

مازلتُ في الجوع هُنا

وفي العراء

أذكرُ طعمَ السعترِ المعجونِ بالزيتِ

أشتاقُ ،أشتاقُ إلى البيت

نلاحظ أنَّ عنوان القصيدة (أذكرُ) يوحي بحنين الشاعر ولهفته إلى أرضه ومسقط رأسه بفلسطين، فالفعل من التذكر الذي معناه استرجاع كل أحداث الماضي،ومعايشتها نفسيًا وعاطفيًا؛ لأنَّ في ذلك شعورًا بالراحة واللَّذة لاسيما إذا كان هذا الماضي سعيدًا بالنسبة للإنسان،وزمنًا لكل ما هو جميل، وقد جاء الفعل بصيغة (المضارع) الذي يوحي بالاستمرارية في الحدث ، كأنَّ حالة الحنين إلى فلسطين الوطن والأرض لا تتوقف أبدًا عند الشاعر، فهو في حالة تذكر دائمة، ومعايشة لماضيه بصفة مستمرة .

ثم نلاحظ مفردات هذا التذكر، ودلالته على عشق الشاعر لوطنه ، فهو يتذكر طعم (السعتر) المعجون بالزيت أي (زيت الزيتون) الذي هو من أخص خصائص البيئة الفلسطينية والشامية بصفة عامة ،ثم يتذكر (البيت) مستخدمًا معه الفعل (أشتاق) مرتين للدلالة على كثرة الاشتياق وتعدد مرَّاته ، ثم ختم به القصيدة للدلالة على رمزيته بالنسبة له، فالبيت هو رمز السكن والاستقرار؛لأنه يؤوب إليه الإنسانُ في آخر اليوم ، ويجتمع فيه مع أحبابه وأهله.

ثم يتذكر(المدرسة) ويذكر (الحروف) التي كان يكتبها في تلك المدرسة ، ورفاق اللعب ، ولعبة العسكر واللصوص في الزقاق ، وكُلُّها مفرداتٌ دالةٌ على حياة الطفولة وجمالها.

ونلمح دلالة قوله:(**سال دمي هناك**) على رغبة الشاعر في التنبيه على تعلقه بوطنه (فلسطين) عامة ومسقط رأسه (صفد) خاصة ؛ لذلك ذكر أهم رابط بهما وهو سيلان دمه ، أي أنَّه ترك في وطنه أهم دلالة عليه وهو (الدمُّ) .

فكلمةُ (الدَّم) تحمل دائمًا دلالة الصلات القوية التي لايمكن أن تنفصل أبدًا، فرابطةُ (الدَّم) أعلى درجات الروابط بين الناس وأرقاها مستوى ،وهى تتميز بالديمومة والاستمرارية إذا قيست بروابط أخرى مثل رابطة :النسب أو العمل أو الصداقة ،فهذه روابط قابلة للانتهاء والزوال.

كما أنَّ (الدَّم) أقوى العلامات والإشارات على الشخصية؛ لأنَّ (الدَّم) يحمل خصائص الإنسان ،فبتحليل عينة (الدَّم) يمكن الوصول إلى شخصية صاحبها وهويته، من هنا تُستخدم عينات (الدَّم) في الاستدلال على كثير من الأمور الخاصة بهُويِّة الإنسان.

فكلمةُ (الدَّم)تعدت دلالتها اللغوية لتعبر عن دلالات أخرى أوسع وأرحب يستوجبها السياق، ويقصدها الشاعر، أهمها : التعبير عن ارتباطه بأرضه ووطنه ارتباطًا وجوديًّا لا يمكن أن ينفصل عنه أبدًا بفعل الغربة أو الهجرة ، فالكلمةُ هنا تعبر عن هُويَّة وموقف أكثر من كونها لفظًا مُكَونًا من حروف.

كما أننا نلمح دلالة الفعل الماضي (سال) على الانتشار والاتساع و التغلغل بتراب الوطن.، فمن خصائص السيلان الانتشار والكثرة، ومنه سال الماء إذا انتشر انتشارًا.

كما نلمح دلالة استعمال اسم الإشارة (هناك) الذي يحيل إلى الوطن ومسقط الرأس على رغبة الشاعر في لفت النظر إلى وطنه ومسقط رأسه ، فاستعماله هنا مرتبط بغرض تداولي يعبر عن قصدٍ وغاية لدى الشاعر وهو لفت النظر إلى تعلقه بوطنه وحنينه الشديد له؛ لأنَّ (ألف المدِّ) في اسم الإشارة (هناك) تتيح له امتداد الصوت الذي يتناسب وبعده عن وطنه وبعد وطنه عنه.

ثُمَّ يذكر الشاعر حياته في الغربة ومعاناته فيها مستخدمًا اسم الإشارة (هُنا) الذي يحيل إلى المكان (المهجر) مقابل اسم الإشارة (هناك) الذي يحيل إلى وطنه (فلسطين) كنوع من الموازنة بين المكانين ؛ لتبرز قيمة المكان (الوطن) مقابل المكان (المهجر)، فيقول:

ما زلتُ في الجوع هنا

وفي العراء

أذكرُ طعم السعتر المعجون بالزيت

أشتاقٌ،أشتاقُ إلى البيت

نلمح أهمية ذكره لكلمتي (الجوع والعراء) في الدلالة على ذمه للغربة ومعاناته في المكان(المهجر) ، فالكلمتان تحملان دلالة التعب والتشرد،وتكشفان عن حال الإنسان المغترب عن وطنه وأهله فهو إما: جائعٌ أو عارٍ، فالكلمتان وُضعتا في النص بعناية وقصد من جانب الشاعر ، كما أنَّهما تدلان بطريق (المخالفة) على وضع الإنسان في وطنه من حيث الأمن الغذائي والنفسي والعاطفي ، وكأنَّ الشاعر أراد أن يلفت نظر القارئ والمتلقي إلى أهمية المكان (الوطن) في حياته عن طريق وصفه لحاله في الغربة ، فالضدُّ يظهرُ حُسنَه الضدُّ.

ف (الجوع والعراء) سببان من أسباب فناء الإنسان وزواله وضياعه ، فبالجوع يضعف الإنسان ويذبل ثمَّ يموت،وبالعراء يتعرض للخطر سواء خطر البشر أو خطر الطبيعة، فهو في فزع وخوف بسبب العراء ؛ لذلك امتنَّ الله تعالى على قريش بنعمة الإطعام من الجوع والأمن من خوف، فقال اللهُ تعالى في سورة (قريش):"**فليعبدوا ربَّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوفٍ**"[٥١]، كما جعل الله تعالى عقوبة القرية التي كفرت بأنعمه الجوع والخوف ، فقال تعالى:" **وضرب اللهُ مثلًا قريةً كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقُها رغدًا من كل مكان فكفرتْ بأنعمِ اللهِ فأذاقها اللهُ لِباسَ الجُوعِ والخوفِ بما كانوا يصنعون**"[٥٢]

فالغربة مدعاة لفناء الإنسان وزواله، فالكلمتان (الجوع والخوف) مكتنزتان بالدلالات والظلال ، ما يدل على قدرة الشاعر على شحن كلمات اللغة بهذه الظلال وبتلك الدلالات التي تحتاج إلى متلقٍ من نوع خاص يستطيع فك شفرتها

، والتقاط معانيها ،من هنا تبرز أهمية المتلقي للنص الأدبي ، فـ " النصُ الأدبيُّ وجود عائم ، فمبدعه يطلقه في فضاء اللغة سابحًا فيها إلى أن يتناوله القارئ ويأخذ في تقرير حقيقته"[٥٣] ، "ولا ريب أنَّ النص جنين يتيم يبحث عن أب يتبنَّاه، وما ذلك الأبُ إلا القارئُ المُدرَّبُ"[٥٤]

وفي قصيدة :**رسالة إلى شعبي**[٥٥] يُصرِّحُ (محمود صبح) بحنينه إلى وطنه ،مستخدمًا لفظ (أرضي) الذي يوحي بالحنين والشوق والتعلق بهذا الوطن ، فيقول:[٥٦]

آهٍ، يا شعبي.
لأجلك أهبُ حياتي
لكي تنبعث في أرضي
فأنا لا أريدُ أن أموت أبدًا
إلَّا في أرضي.

فقول الشاعر: **(فأنا لا أريد أن أموت أبدًا إلا في أرضي)** كناية عن تعلقه بوطنه وتمسكه به حتى النهاية وهى الموت.، فالأسلوب أسلوب قصر وحصر أداته (لا النافية وإلَّا الاستثنائية) يفيد التأكيد.

نلمح هنا استخدام كلمة **(أرضي)** بدلًا من **(وطني)** لخصوصية دلالة هذه الكلمة في العقلية العربية ، فهى تحمل دائمًا دلالة العِرْض والكرامة، والحفاظ عليها يعادل الحفاظ على هذا العِرْض و على هذه الكرامة، والتفريط في (الأرض) يعادل التفريط فيهما، كما أنَّ إضافة الكلمة إلى (ياء المتكلم) تدل على انتساب الشاعر لأرضه وتعلقه بها.

كذلك نلمح دلالة التعبير بضميرالمتكلم (أنا) على الحضور، والرغبة في لفت النظر إليه ، والتأكيد على الإرادة والإصرار على الفعل.

و قد تجلى هذا الموقف تجاه المكان (الوطن) عند محمود صبح أيضًا من خلال الصورة الفنية التي رسمها له في قوله :[٥٧]

فلسطينُ زيتونةٌ بين بحرين:
بحر المِنِّية[٥٨] والزعفران
وبحر الزنابق[٥٩] والبرتقال
فلسطينُ تُبعث عبر مَخاض الألم
فلسطين رمزُ عذاب الأمـــم

نلاحظ في هذا الشاهد صورتين للوطن (فلسطين) :أولاها:أنَّها (زيتونة) بين بحرين: بحر المِنيِّة و الزعفران، وبحر الزنابق والبرتقال، فالصورة مستوحاة من الطبيعة ، وتحمل دلالات متعددة منها قدسية (فلسطين) وطهارة أرضها وجمالها الساحر ، فكلمة (زيتونة) يرتبط بها كُلُّ معاني التقديس والطهر والتزكية، كذلك يرتبط بها معاني الجمال والبهاء.

وقد جاءت هذه الكلمة(زيتونة) في القرآن الكريم في سياق مقدس هو الحديث عن وصف الله تعالى لنوره سبحانه،فقال تعالى في سورة النور:"**اللهُ نورُ السمواتِ والأرضِ مثلُ نورهِ كمشكاةٍ فيها مِصباح المصباحُ في زجاجة الزجاجةُ كانَّها كوكبٌ دريٌّ يُوقد من شجرةٍ مُباركةٍ زيتونةٍ لاشرقيَّةٍ ولاغربيَّةٍ يكادُ زيتُها يضئُ ولولم تمسسه نارٌ نورٌ على نورٍ يهدي اللهُ لنورهِ من يشاء ويضربُ اللهُ الأمثالَ للنَّاس واللهُ بكل شئٍ عليم**"[٦٠]

وقد أقسم الله تعالى بـ (**الزيتون**) في القرآن الكريم فقال تعالى:"**والتينِ والزيتون...**"[٦١]. والله لايقسم إلَّا بما هو مقدس عنده سبحانه وتعالى.

وقد جاءت هذه الصورة إفرازًا لمشاعر الاشتياق والتعلق بالمكان (الوطن) من جانب الشاعر كتعويض نفسي عما يشعر به من آلام الغربة.

ثانيهما:(**إنَّها رمزُ عذاب الأمم**) ،فقد جعل الشاعر فلسطين رمز عذاب الأمم ، كأنَّ عذاب الأمم جميعًا قد تجمَّع فيها، والصورة ترمز إلى حجم المعاناة التي تعيشها (فلسطين) بسبب الاحتلال الصهيوني ، كما أفادت طول أمد هذه

المعاناة وزمنها ؛لأنَّ كلمة(الأمم) جمع ، ولكل أمة زمن معين في الحياة، ففلسطين بذلك مجموع أزمنة من العذابات والألام.

الجدير بالذكر لم يكن الوطن (فلسطين) وحده موضوع حنين الشاعر ، فقد حنَّ أيضًا إلى أماكن إقامته في سوريا بالشام،مثل مدينة (تدمر)[٦٢] التي خصَّها بقصيدة (زنوبيا[٦٣]...هناك[٦٤]) التي يقول فيها:[٦٥]

آهٍ لو أدري نواميس القــدر
مَرِّغيني عند أعتابك يا تدمر
في الوحل،إذا فاض الفـــرات
واستفحيني في شراين الصحاري
حتى تَعْشَوشَب في الشامِ الحياة
هذه الليلة لم يأت القمر
آهٍ في بادية الشام أنتحر

نلاحظ في القصيدة عبارات الحنين الجارف إلى مدينة (تدمر) ويكفي فعل الأمر :(مَرِّغيني) في قوله:

مرِّغيني عند أعتابك يا تدمر
في الوحل إذا فاض الفرات

فطلبُ (التمرغ) في الوحل قمة الاشتياق والحنين ؛ لأنَّه عمل لايقبله أي إنسان بسهولة إلا إذا كان قد بلغ به الشوق والحنين إلى هذه الأرض مبلغه ، كذلك نلاحظ دلالة فعل الأمر(استفحيني) ومعناه ازرعيني في شراين الصحاري حتى تعشوشب الحياة، كأنَّ زراعته في صحاري (تدمر) يعشوشب فيها الحياة ويبعثها من جديد للعلاقة الحميمية التي تربطه بهذه الأرض ، فكأنَّ الشاعر هو (إكسير الحياة) لهذه الأرض.

ثم نلمح دلالة رغبة الشاعر في الانتحار في بادية الشام (تدمر) في السطر الأخير على قمة الشوق والحنين ، فالإنسان لايطلب الانتحار في أرض إلَّا إذا كانت هذه الأرض تمثل بالنسبة إليه منزلة ومكانة بعينها.

كذلك يبعث السطر الأول من القصيدة **(آهٍ لو أدري نواميس القدر)** بدلالات الندم والحسرة على الغربة والاغتراب من جانب الشاعر،فلو كان يدري ما يحدث له من آلام وحرمان ما هاجر وترك وطنه وأهله ، كأنَّ البيت فيه إدانة ضمنية من جانبه لحياة المهجر، والشاعر يستلهم في هذا المعنى قول الله تعالى في سورة "الأعراف" مخاطبًا رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام :"**قلْ لا أملكُ لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلَّا ما شاء اللهُ و لو كنتُ أعلمُ الغيبَ لأستكثرتُ من الخيرِ وما مسنى السوءُ إنْ أنا إلَّا نذير وبشير لقوم يؤمنون**"[٦٦] ، وقد أفاد التناص هنا إبراز عجز الإنسان عن معرفة الغيب، وأنَّه رهن القدر.

هكذا تشع القصيدة بمعاني الشوق والحنين من خلال لغتها وتراكيبها ، ما يعكس قدرة الشاعر على توظيف العلامات اللغوية توظيفًا مؤثرًا ومعبرًا عن حالته النفسية.

هكذا تجلى المكان (الوطن) عند الشاعر من خلال خطاب الحنين إليه،وقد شكَّل هذا المكان بالنسبة للشاعر مُعادلًا موضوعيًا للأمن والاستقرارالنفسي والمعيشي،مقابل المكان (المهجر) الذي شكَّل مُعادلًا موضوعيًا للجوع وعدم الأمن والاستقرار.

٣-المبحث الثالث :الغربةُ وتجليَّاتُ المكان (التاريخ) في شعر محمود صبح:

نقصد بالمكان (التاريخ) المكان الذي ارتبطت به ذكريات وأحداث تاريخية مهمة في ذاكرة الأمم والمجتمعات،وظل معلمًا بارزًا وحيًّا على تلك الذكريات وهذه الأحداث ،ومثَّل منبعًا ثريًّا يستلهم منه الشعراء والأدباء تجاربهم الأدبية .

وقداستدعت الغربة المكان (التاريخ) في شعر محمود صبح من خلال استلهام الشاعر لحضارة الأندلس وتاريخها وذكريات العرب والمسلمين فيها ،فقد شكلَّتْ الأندلسُ مصدر إلهام وإلهاب لعاطفة شعراء المهجر بصفة عامة[٦٧]، ولعاطفة (محمود صبح) بصفة خاصة فاتخذ منها بعد وطنه (فلسطين) موضوعًا للحنين والبكاء ، فهى الفردوس المفقود الذي طالما حنَّ إليه الشعراء والأدباء ، وأفرغوا ماء عيونهم عليه لما يحمل من عبق التاريخ العربي والإسلامي الذي دام نحو ثمانية قرون.

وقد ساعد على استدعاء هذا المكان (التاريخ) عند **محمود صبح** إقامته في (إسبانيا) حيث (الأثر العربي والإسلامي) هناك لا يزال حيًّا يبعث بإشارات إلى كل عربي مهاجر ، يُذكِّرُه بأمجاد آبائه وأجداده من العرب والمسلمين،الأمر الذي جعل الشاعر(محمود صبح) يجد بغيته وضالته في هذا المكان (التاريخ)،فراح ينبش فيه من جديد ساكبًا دموعه عليه، مستروحًا به من عناء الغربة ووحشة البعد، فقد وجد فيه رائحة الأهل والعشيرة الذين فقدهم في وطنه (فلسطين) ، ووجد فيه كذلك عِوضًا نفسيًا عن كل أمل لم يستطع تحقيقه في الحياة سواء لنفسه أو لوطنه، فالتغني بالبطولات والتاريخ بصفة عامة يحقق من خلاله الشاعر"كثيرًا من طموحه الذي يعجز عن بلوغه في مجتمعه ولحظته الحاضرة"[٦٨]، فالحنينُ إلى الأندلس وتاريخها هو نوع من التعويض النفسي عن حالة العجز والضياع التي يشعر بها الشاعر في مهجره.

وقد حضر هذا المكان (التاريخ) عند محمود صبح من خلال مظاهرعدة، منها البكاء على الأندلس ورثائها، كما هو الحال في قصيدة بعنوان **(الأندلس)**:[٦٩] يقول فيها:[٧٠]

يا أندلسُ روحي

لماذا أنتِ مسكينةٌ ؟

فإنِّي لا أسمعُ صوتك العميق

ولا أشاهدُ رقصك المتدفق ماءَ ونارا
ولا أتملى قامتك المُتخايلة بين الكبرياء والرشاقة.
وهى تتحدى الفناء
وتستهزئ من الألم
كم من جوى يستثيرني إ ذ أراك في هذا الأسى الهادئ
آهٍ لحبيبتي الأندلس
فقد أنستُ إلى الذكريات

نلاحظ أنَّ القصيدة معبرةٌ عن حزن دفين وحنين جارف يسكن نفس الشاعر على فقد الأندلس،ويكفي قوله :**كم من جوى يستثيرني...؟**، والجوى هو الحرقة والألم على المفقود، كما يكفي وصف الشاعرللأندلس بأنَّها (روحه) ، فليس هناك أغلى من الروح عند الإنسان، فبها حياته وبقاؤه ،كأنَّ حُبَّ الأندلس بلغ من الشاعر مبلغًا جعلها كأنَّها روحه ، ثم يصفها بأنَّها (مسكينة) لم يعد لها صوت أو رقصة كناية عن الضياع والفناء اللَّذين يشعر هوأيضًا بهما، فهو يراها من خلال نفسه المأزومة والضائعة، فالإنسان يرى الأشياء من خلال نفسه وحالتها سواء كانت سعيدة أو حزينة ، فالشاعر يضفي على الأشياء من نفسه وشعوره فتتظلل بهما وتتلون، وتصبح انعكاسًا لما يدور في هذه النفس ، لذلك تختلف رؤية الأشياء من إنسان إلى آخر حسب حالته النفسية والمزاجية والشعورية.

كما نلمح دلالة ذكر الاسم (الأندلس) على مكانة هذا (الاسم) في نفس الشاعر، فالاسم –دائمًا– يحمل موقف الناطق به منه، فالإنسان لا ينطق إلَّا بما يحب ويعشق، كأنَّ استخدام هذا الاسم (الأندلس) عند الشاعر له أبعاد تداولية وسيميائية هى توضيح موقفه من هذا الاسم: حُبًّا وتقديرًا، وتذكير القارئ والمتلقي به .

فكلمة"الأندلس" علم على هذا القطر العربي المعروف ، ما يدل على تقديس الشاعر لهذا الاسم، فالعلم في واقع الأمر رمز[٧١]، ومتى "خطر العلم في ذهن أحدنا،خطرت معه مجموعة من الصفات المُعيِّنة التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا في ذهن المتكلم والسامع ، بل ترتبط في أذهان كل من عرفوا صاحب هذا العلم أو اتصلوا به في تجارب سابقة" [٧٢]

فنحن عندما نتعامل مع العلم في النص ، فإننا "لا نتعامل مع مجرد كلمة ، وإنَّما نتعامل مع مجموعة من المواقف النفسية ، تستثار في الذهن كلما ذُكر ذاك العلم"[٧٣]، وهنا تبرز قيمة مبدأ الاختيار للعناصر اللغوية المناسبة للتعبير عن المعنى في النفس، ذلك المبدأ الذي هو أحد طرفي الأسلوب ، فالأسلوب اختيار وتأليف[٧٤]، فالشاعر عندما ينادي بالعلمية فهو أمر مقصود ، واختيارٌ واعٍ من جانبه، والعلمية معناها " كلُّ كلمة تدل بنفسها مباشرة على شيءٍ واحد، مُعيَّنٌ بشكله الخاص، وأوصافه المحسوسة التي ينفرد بها ، وتميزه من باقي أفراد نوعه"[٧٥].

ومن القصائد الأخرى التي حضر فيها المكان(التاريخ) عند الشاعر قصيدة بعنوان **(مدينة الزهراء)**[٧٦] يقول فيها[٧٧] :

كمْ أودُ أن أقرأ اسمك هذا

بيد أنَّي لا أستطيع أنْ أفكَّ الرموزَ والحروفَ

ففلق زجاجك المُدمَّاة

تجرح عيني

وأشلاءُ جسدك المُشوَّه

تملأني عارًا.

إذا نظرنا إلى أسلوبية هذه القصيدة الصغيرة،نلمح إلى أي مدى يشكل ضياع **(مدينة الزهراء)** مأساة بالنسبة إلى الشاعر،فقوله:**كم أودُ أنْ أقرأ اسمك هذا**...فيه كناية عن كثرة المحاولات المبذولة من جانب الشاعر و التي يقف

وراءها الإلحاح على ذكر الاسم لما يحمله هذا الاسم (**مدينة الزهراء**) من ذكريات ومشاعر بالنسبة للشاعر، فـ (كم) هنا تحمل دلالة الكثرة، ثُمَّ نجد دلالة استعمال الفعل (أقرأُ) مكان الفعل (أنطق). فالقراءة فيها نوع من الوعي بالمقروء ، والتلذذ بهذا المقروء، ودلالة أيضًا على أهمية هذا المقروء.،كأنَّ اسم (الأندلس) كتابٌ يُقرأ.

كذلك نلمح دلالة استعمال اسم الإشارة (هذا) بعد كلمة (اسمك) للتأكيد على قيمة هذا الاسم بالنسبة إلى الشاعر، فهو لا يكتفي بقوله (اسمك) ، بل يشير إليه باسم الإشارة (هذا) الذي هو من (الإشاريات) التي تحمل مُراد المتكلم في الخطاب ، وتعين على فهم قصده منه ، كما يرى أصحاب المنهج التداولي في تحليل الخطاب كما سبق الإشارة إلى ذلك، فهو يوحي بتعظيم هذا الاسم وتقديسه من جانب الشاعر، فالسياق سياق حب وتقدير،وهنا تبرز قدرة الشاعرعلى توظيف العلامات اللغوية توظيفًا معبرًا عن قصده ومراده من الخطاب، كما يبرز أهمية السياق في فهم المعنى، فالسياقُ هو الذي يمنح العلامة اللغوية دلالتها.

ثم يأتي البيت الثاني ليقطع هذه الأمنية ،فهو لا يستطيع أن يفكَّ الرموز وحروف الكلمة ، كأنَّ الحزن والأسى على ضياع المدينة أمسك لسانه عن النطق؛ لما في ذلك من علاقة بين النطق والكلام من ناحية ، و بين الحالة النفسية عند الإنسان من ناحية أخرى، فالسرور يطلق اللسان ، والحزن أو الخوف يقيده عن الكلام ويمسكه عن النطق به، كما تدل الآيات الكريمة على لسان سيدنا موسى عليه السلام عندما أمره ربه بالذهاب إلى قوم فرعون ، فقال تعالى:"قال ربِّ إنِّي أخافُ أن يُكذبونِ فيضيقُ صدري ولاينطلقُ لساني فأرسلْ إلى هارون"[٧٨] ، فضيق الصدر والخوف يمسكان اللسان عن النطق بالكلام.

ثم يأتي الشاعر بمشاهد حسية تجسد المأساة ،وتجعلها ماثلة أمام عين السامع والمتلقي كي يشاركاه الشعور، كما في قوله: **ففلْقُ زجاجك المُدمَّاة تجرح عيني** ، فقد استعمل الشاعر هنا لفظة (فلْق) التي تدل على التحطم

والتهشم والخراب ، وأضاف لها صفة المُدمَّاة للمبالغة في المأساة ، فلون الدم أو الشئ المدمم يثير في النفس الرعب والخوف، وهنا تبرز سيميولوجية اللون في التعبير عن المعنى ، فلونُ الدم، (وهو اللون الأحمر) يحمل دائمًا دلالات الخطر [٧٩] ، ويُعبرُ به عن وقوع الجريمة ، فأيَّنما وُجِد الدم بلونه الأحمر المثير لانفعالات النفس، فثمَّة جريمةٌ قد وقعت.

ونلمح دلالة قوله: (تجرح عيني) للتعبيرعن الحزن الشديد ،فالحزن يظهر على (العين) أولًا،ويؤثر فيها كما قال الله تعالى واصفًا حال سيدنا يعقوب عليه السلام عندما حزن على فقد ولده سيدنا يوسف عليه السلام:"**وابيضتْ عيناهُ من الحزنِ فهو كظيم**"[٨٠]، فاختيار (العين) دون أجزاء الجسم الأخرى له قصديَّةٌ عند الشاعر ، فالعين هى أغلى ما يمتلكه الإنسان ، وعندما تُجرح،فمعناه أنَّ الإنسان فقد بصره، وفي ذلك دلالة على تأثر الشاعر الشديد بما آل إليه حالُ المدينة، وانفعاله السلبي بهذا الحال، فالكلمات ترجمت ما في نفسه من شعور.

ثم يقول: **وأشلاءُ جسدك المشوَّه تملأني عارًا...**

نلاحظ أنَّ استعمال كلمة (أشلاء) توحي بالتقطيع والتمزيق ،كما أنَّ وصْفَها بـ **(المشوَّه)** فيه دلالة على بشاعة المنظر، وهنا يأتي دور (الانزياح الدلالي) ، وهو الخروج بالكلام من حقل دلالته الأصلي إلى حقل دلالي آخر، فقد أخرج الشاعر المدينة موضوع الرثاء من حقل الجماد الذي من صفته عدم الإحساس والشعور إلى مجال الكائن الحي الذي من صفته الإحساس بالألم والشعور به، ما أضفى حيوية وحركية على الكلام في القصيدة.

ولاننس العنوان في قوله:**(مدينة الزهراء)** ، فهو منادى محذوف الأداة للدلالة على قرب هذا المنادى من الشاعر ، وتوده له ، كما أنَّ النداء فيه لون من إضفاء الحياة على المُنادَى ، فالأصل في النداء أن يكون لعاقل بغرض إجابة الدعوة.

ويكمل الشاعر رثاءه لمدينة (الزهراء) هذه في قصيدة أخرى بعنوان **(مدخل إلى رثاء مدينة الزهراء)**[٨١] يقول فيها:[٨٢]

قفا نبكِ هذى الديارا
أناخ بها كلكلُ الليلِ
ضرمها الدهرُ فهى فِلاقُ زجاج
فتات حجر
حصى تحت رجلي يصطكُّ
يجرح كفي بُلورُ هذى القصور الحتوف
أنقِّبُ فيها عن الصولجان
عن "ألأربسكو"
-على ضوء عيني-
عن نسخة من مصاحف عثمان
عن شعر "إنِّي ذكرتُكِ..."

بدأ الشاعر القصيدة بالتناص في قوله :(قفا نبك هذى الديار) مع الشعر القديم وتحديدًا مع قول (امرئ القيس) في مطلع معلقته [٨٣]:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقط اللِّوى بين الدخولِ فحوملِ

فـ(التناص) منح الشاعر طاقة تعبيرية كبيرة للحديث عمَّا يجولُ في خاطره من حزن وأسى، فالتناص"ليس مجرد عملية يقوم بها الشاعر دون أن يكون لها وظيفة ، وإنَّما هو عملية تفجير لطاقات كامنة في هذا النص يكتشفها شاعر بعد آخر ، كُلٌّ حسب موقعه وإحساسه الشعوري الراهن"[٨٤] ، فعبارة (قفا نبك...) ارتبطت منذ العصر الجاهلي بالبكاء على الديار الدارسة ، كما أنَّ هذه العبارة فيها ارتباط بالذات العربية القديمة في العصر الجاهلي، فإذا ذُكِرت ذُكِرتْ الذات العربية في الجاهلية،

ما يدل على تعلق الشاعر بأصوله العربية القديمة ، فهو يشعر من خلال هذا (التناص) بالدفء النفسي والعاطفي المفقود عنده بسبب الغربة.

فالتناص تعدى مجرد الدلالة على موضوعه إلى دلالة أوسع وأشمل هى تعلق الشاعر بتراثه وحنينه إلى ماضيه، وهنا تبرزسيميولوجية العلامات اللغوية في النص،فهناك علاقة بين العلامة اللغوية، وبين الفكر كما أشار (دي سوسير) العالم اللغوي الفرنسي في محاضراته في علم اللغة العام[٨٥]

ثم يعدد الشاعر مظاهر الخراب في هذه الديار بقوله:

أناخ بها كلكلُ الليل

ضرَمها الدهرُ فهى فِلاقُ زجاج

فتات حجر

حصى تحت رجلي يصطكُّ

يجرح كفي بلور هذى القصور الحُتوف

نلاحظ أنَّ الشاعر دخل في السطر الأول في عملية (تناص) أخرى مع قول امرئ القيس الذي يصف فيه وحشة الليل :[٨٦]

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدوله عليَّ بأنــواع الهمــوم ليبتلــي

فقلتُ له لمَّا تمطى بجـــــوزه وأردف أعجازًا وناء بكلكـلِ

ألا أيُّها الليلُ الطويـلُ ألا انجــلي بصبحٍ وما الإصباحُ منك بأمثلِ

وقد كشف (التناص) هنا عن حالة الضيق النفسي الشديدة التي يعيشها الشاعر بسبب الحال التي آلت إليها **(مدينة الزهراء)**، فهو يراها من خلال نفسه المتأزمة جرَّاء الغربة، كما رأى (امرؤ القيس) الليل من خلال نفسه أيضًا ، فرآه بهذه الصورة الموحشة ، ما دلَّ على أثر الحالة النفسية في رؤية الأشياء على

نحو ما مرَّ توضيحه.، ودلَّ أيضًا على أثر (التناص) في استفادة الشعراء من تجارب بعضهم، والاستعانة بها في التعبير عن معانيهم وأغراضهم الشعرية ، لاسيما إذا كانت هذه التجارب لشعراء كبار في تجاربهم الشعرية بحجم (امرئ القيس) ومن هو على شاكلته من شعراء عصور الأدب العربي القديم.

كما نلاحظ في الأبيات السابقة التعبيرعن مأساة هذه المدينة (الزهراء) من خلال ألفاظ وجمل موحية بالخراب مثل: **(ضرمها الدهر – فهى فلاق زجاج– فتات حجر –حصى يصطك)** ، فكُلُّها ألفاظ وتعبيرات تحمل معنى التفتيت والتحطيم والتهشيم كناية عن الخراب، والضياع الذي هو على شاكلة ضياع الشاعر ذاته.، فإحساس الشاعر بالضياع والغربة وتشظي النفس عنده أوجد لغة متشظية ، وخلق أيضًا صورة متشظية عن المدينة، فهو يراها من خلال نفسه المكلومة على نحو ما سبق الإشارة ، فالصورة هنا ليست صورة موضوعية مجردة ،إنَّما هى صورة نسجها عند الشاعر الشعور بأزمة الغربة ووطأتها على نفسه،فـ"المهجريون يرون الأشياء من خلال شعورهم وليس من خلال أبصارهم المحدودة "[٨٧].

ثم تأتي السطور التالية لتعبرعن ولع الشاعر وشدة حنينه إلى تراثه في الأندلس، فهو يستخدم لفظ (أنقِّبُ) الذي يحمل دلالة البحث بدقة،فالتنقيبُ معناه الإمعان في البحث كناية عن الحنين والتعلق بالشئ ، ثم يذكر بعض الكلمات التي هى من مظاهر الحضارة العربية والإسلامية في الأندلس والمعبرة عن الذات العربية والمسلمة في هذه الديار الأندلسية مثل "**الأربسكو**"[٨٨] ، و"**الصولجان**"[٨٩]، و"**نسخة من مصحف عثمان**" و"**شعر ابن زيدون في ولادة بنت المستكفي**"[٩٠]

نلاحظ أنَّ الشاعراختارما يعبرعن الجانب المادي والجانب الثقافي للحضارة العربية والإسلامية في الأندلس، فـ **(الأربسكو) و(الصولجان)** مظهران ماديان ، أما نسخة من **(مصحف عثمان)** ، و**(شعر ابن زيدون في ولادة بنت المستكفي)**

مظهران من مظاهر الثقافة.، ما يدل على أنَّ حضارة المسلمين في الأندلس كانت تسير على قدمين: مادي ومعرفي.

فالألفاظ اتسعت دلالاتها في الأبيات،وانتقلت من مجرد التعبير عن معنى اللفظ لتصف طبيعة الحضارة العربية والإسلامية في الأندلس ، وتكشف عن مدى ثراء هذه الحضارة.

ونلمح دلالة الجملة الاعتراضية وأهميتها في قوله:-**على ضوء عيني**- في التأكيد على تعلق الشاعر الشديد بحضارته وتراثه في الأندلس ، فالإنسان لايبحث عن شئ على ضوء عينه إلَّا إذا كان هذا الشئ ذا قيمة في حياته ؛ لأنَّه ليس هناك أغلى من نور العين بالنسبة للإنسان فهو الذي يرى به الأشياء من حوله ؛ لذلك يقال للكفيف:**ذهب نورُ عينه** ! أي لم يعد يبصر.

ومن ملامح تجليَّات المكان (التاريخ) أيضًا عند الشاعر اجتراره لذكريات هذا المكان واستنطاقه لأسراره التاريخية،كما هو الحال في قصيدة (**سورة الوادي الكبير**)[٩١]،وهى من القصائد المهمة والطويلة التي يظهر فيها ولع الشاعر بتاريخ الأندلس وحنينه إليه، وأول ما يلفت النظرفي هذه القصيدة هو (عنوانها)، فالشاعر استخدم كلمة (**سورة**) وهى من المفردات التي تحمل دلالة مقدسة لتعبيرها عن جزء محدد من آيات القرآن الكريم، وهى توحي بالعظمة وعلو الشأن ، فمن معاني (**السورة**) في معاجم اللغة (المنزلة الرفيعة- الفضل -العلامة)، كأنَّ هذا الوادي[٩٢] يحمل من أسرار الحضارة الأندلسية ما تحمله السورة من القرآن الكريم من أسرار الله وحكمه وشرعه في خلقه.

وهو يستهلها استهلالًا مُثيرًا ،فيقول:[٩٣]

لقد وجدتُه، لقد وجدتُه

اسمك المائة

وبسورتك يكتمل الكتابُ المقدس

يا أيُّها النهرُ الكبير

اللهُ أكبر

جئتُك اليوم لأتقرى آخر سورة من سور الزمان

في صفحات أمواجك وهى تتزاحم منطلقة

كأنَّها أرتالُ خيولٍ عربيةٍ

تخبُّ في مسيرتها نحو ما وراء الوجود

نلاحظ دلالة تكرار الفعل الماضي في استهلال القصيدة **(وجدتُه، وجدتُه)** على اللهفة الشديدة المصحوبة بالفرحة والنشوة لرؤية هذا الوادي ، كأنَّه كان شيئًا ثمينًا ضائعًا ومفقودًا من صاحبه ، ثم وجده ، فتكرار الفعل صنع درامية وتشويقًا في مطلع القصيدة .

ثم نلمح رمزية الصورة في قوله:**(كأنَّها أرتالُ خيولٍ عربية)** ،فهو يشبه تدافع مياه النهر كأرتال الخيول العربية في مسيرتها نحو الجهاد في الأندلس ، وهنا تحمل الصورة رمزية الحنين الشديد للماضي العربي والإسلامي في الأندلس ، كذلك الحسرة على ضياع هذا المجد، فالصورة حملت دلالتين: دلالة الحنين، ودلالة الحسرة، فكلمة (خيول عربية) تُذكر بمجد العرب والمسلمين وبطولاتهم في الأندلس، فاختيار الشاعر لهذه الصورة خدم معانى كثيرة في نفسه.

كما نلمح حضور اسم الجلالة **(اللهُ أكبر)** الذي دلَّ على اندهاش الشاعر وفرحته برؤية الوادي الكبير، فالإنسان لايُكبِّرُ ولايهلل إلَّا في لحظات خاصة ومواقف عظيمة مثل مواطن الجهاد في سبيل الله تعالى ضد العدو ، أو عند رؤية حدث عظيم يهزُّ وجدانه وأحاسيسه ،أو عند أداء شعائر الإسلام كالحج والصلاة ،وغير ذلك من المواقف العظيمة.

ثمَّ يقول مُخاطبًا هذا النهر:[٩٤]

جئتُك اليومَ لأستجلي الذين وشَّحوا حواشي ضفتيك

بمآذن ومساجد

بحصون وأبراج

أولئك الذين حاكوا حافتي شفتيك

بدمقس دمشق بحرير بغداد

ببلور صيدا

نلمح في هذه الأبيات دلالة الفعل (جئتك) والفعل:(**لأستجلي...**) على رغبة الشاعر الشديدة في البحث عن الأثر الحضاري للذات العربية والمسلمة في الأندلس كوسيلة للهروب من آلام الغربة ، ثم يأتي بالأدلة المادية على الحضارة العربية والإسلامية: المآذن والمساجد ، الحصون والأبراج ، دمقس دمشق ، حرير بغداد ، بلور صيدا...، ما يدل على حنين الشاعر الشديد إلى حضارته وأصوله العربية ، وتعلقه بها ، فذكر اللفظ يُخفي وراءه معانى كثيرة قارة في نفس الشاعر، من هنا تأتي أهمية البحث في سيميائية وجود هذه الألفاظ في البيت، فهى لم تأت من أجل ذاتها ، إنَّما جاءت من أجل ما تحمله من دلالات على حضارة المسلمين والعرب في الأندلس، فهى تستدعي في ذهن الشاعر كُلَّ لحظات المجد التي عاشها المسلمون في هذه البلاد ، ما يدل على أنَّ اللفظ اللغوي في شعر **(محمود صبح)** ليس مجرد بنية لغوية فارغة أو صامته ، إنَّما هو بنية لغوية مُحمَّلة بالدلالات والمعاني والظلال ،وما يدل أيضًا على أنَّ الشعر شكَّل بالنسبة للشاعر مهربًا وملاذًا من الهموم ومتاعب الغربة.

ثم نلمح جمال الصورة في قوله: **وشَّحوا حوافي ضفتيك** ، وقوله: **حاكوا حافتي شفتيك** ، فقد تصور الشاعر النهر ثوبًا تمَّ تطريزه وتوشيحه بمعالم المسلمين والعرب كالمساجد والحصون وغير ذلك من الأشياء التي ذكرها ، وقد أفادت الصورة هنا الشعور من جانب الشاعر بعظمة الحضارة العربية والإسلامية وحضورها اللافت والمؤثر في الأندلس، فكلُّ حضارة تأخذ قيمتها من تأثيرها في (المكان) التي حلَّت فيه، كأنَّ الشاعر يقوم بعملية تأريخ وتأصيل لهذه الحضارة الإسلامية والعربية بالأندلس، وهنا يتحول النص الشعري من مجرد أداة تعبيرية إلى أداة تأريخية

ثُمَّ يقول الشاعر مستتبئًا من هذا النهر ، ومستنطقًا له من خلال تكرار حرف الاستفهام (أين) الذي يوحي بالولع في السؤال والرغبة الشديدة في الاستنطاق والحصول على الجواب:[٩٥]

نبئني ، أيُّها النـهرُ العظيمُ
أين هى تلك الراياتٌ المجيدةُ
التي تخفق في سمائك
متآخية توأم توأم مع أجنحة النسور؟
أين بنو أمية ، أين بنو عبَّاد؟
أين الأُلي أثروا ، مثلك أنت
ألوان الأندلس؟
في مروجه الأخضر والأبيض
يعانقهما الأزرقان

نلاحظ في الأبيات مدى حنين الشاعر إلى الماضي الأندلسي من خلال وسائل لغوية متعددة منها الفعل: أستجلي ، نبئني ، أنشدني ، والاستفهام في قوله: لماذا تخفي؟.، فالشاعر استنفد كُلَّ أدوات الخطاب للنهر لاستنطاقه بحضارة المسلمين هناك، ما يكشف عن ولعه وولهه وحنينه إلى ماضيه، فكثرة العلامات اللغوية تعكس كثرة المعاني المحبوسة في النفس.

ثم نلمح دلالة سؤاله عن (بني أمية ، و بني عَبَّاد) على وعيه بالتاريخ هناك ، فـ (بنو أمية ، وبنو عباد) يمثلان معلمًا تاريخيًّا بارزًا من معالم الحضارة العربية والإسلامية في الأندلس.

ثم يوالي الشاعر نداءاته للنهر بما يبرز حنينه إلى هذا المكان (التاريخ)،فيقول:[٩٦]

يا نـهرَ الأحجارِ الكريمةِ
يا نـهرَ المياه الطاهـرة

يا نـهر المخازن العائمة
ها أنا ذا هنا كي تحدثني –أو أن أحدثك–
عن قومي الذين هم كذلك أهلك
أولئك – هؤلاء – الذين ما يزالون يرعون النجوم
الملتجئة إليك وقد فرت من الليالي الرهيبة
مثلي أنا فمنذ ثمانٍ وعشرين سنة وأنا أهربُ من البحر الميت
والآن أستجيرُ بك كي يجفَّ بي الأسى إزاء النوارس والحمائم
وأحسُ بالحياة في ظلال أفياء أعصاب سواعدك الخضراء
أو لدى الثلوج المالحة التي ترفعها فوق راحتك

نلاحظ تكرار النداء يعكس التلذذ بالمنادى ، فالإنسان لا يكرر النداء إلا مع من يحبُّ ، كما نرى الأوصاف التي يلصقها بالمنادى مثل :الأحجار الكريمة ، المياه الطاهرة ، المخازن العائمة،فكلها أوصاف تعكس التودد من جانب الشاعر للنهر ،وعبقرية هذا النهر والقيمة الحضارية له.

كما أنَّ هذه النداءات فيها لون من (الانزياح) ،والخروج على المألوف في النداء،فقد أضفى هذا الانزياح صفة الكائن الحي على النهر ، وأتاح للشاعر استحضاره أمامه كأنَّه إنسان ، ودخل معه في علاقة كلامية ، ما كان له أثره في إضفاء الحوارية والحركة على كلمات الأبيات والذي كان من شأنه التقليل من رتابة الطابع الغنائي أو الصوت الواحد في الشعر.

ثم نلمح في السطر الرابع هذا التعبير الرباعي(ها أنا ذا هنا)الذي فيه إمعان من الشاعر ورغبة في لفت الانتباه إليه،ف (ها) أفادت التنبيه ،و(أنا) أفادت الدلالة على ذات المتكلم وهو الشاعر، و(ذا) أفادت الإشارة ، و(هنا) أفادت المكان ، فكُلُّها (إشاريات) أسهمت في الدلالة على المعاني المكبوته عند الشاعر، وموقفه من قضية (المكان).

ثم يقول مواصلًا البحث عن أثر الحضارة العربية والإسلامية :[٩٧]

يا نـهرَ الشعراء والقيان

يا نـهرَ الأزجال والمواويل

أنشدني آخر بيت شعر ناج به المعتمد حين ودَّعك

–ولو أني أغادرك فإني لاأهجرك ،آهٍ أيُّها الوادي الكبير

فأنت الدم الذي يجري في عروقي

وإذا ما المنية امتصتك مني

فإنَّ مجراك سيكون لي ضريحًا نديًّا

وسيهبني صلصالُك حياة في الحياة الأخرى

ثم يقول:[٩٨]

أجبني أيُّها النـهرُ الكبيرُ

لماذا ما زلت تخبئ في أكنافك

أقراط عائشة وفاطمة ومريم

اللواتي كنَّ يعمنَّ في مياهك ذات صباح؟

––دعك من المزاح واللعب–

أعدْ إلى عبد الرحمن عمامته البيضاء

وإلى المنصور سيفه القرمزي

وإلى الزهراء الغانية لألئ مدينتها.

نلاحظ أنَّ الشاعر يعاود النداء إلى النهر بأوصاف جديدة ، فهو نهر الشعراء والقيان والأزجال والمواويل ، وكُلُّها علامات على الحضارة الأندلسية ، ثم يستدعي بعض معالم هذه الحضارة مثل (المعتمد بن عباد) صاحب إشبيلية ، وأسماء الجواري اللاتي كنَّ يعمن في هذا النهر (عائشة وفاطمة ومريم) ، كذلك يذكر (عبد الرحمن الغافقي) أحد قواد المسلمين الذي قاتل حتى سقطت عمامته البيضاء، والخليفة المنصور وسلاحه المشهور، ما يدل على الحنين

الجارف إلى تاريخ الأندلس وحضارتها ، لما في ذلك من استرواح لنفس الشاعر من عناء الغربة.

ثم يقول الشاعر في المقطع الأخير معلنا عشقه لهذا النهر ورغبته في أن يحضنه هروبًا من آلام الغربة وقسوتها :[٩٩]

وددتُ أنْ أحضنك أن أروي برضابك أحشائي العطشى

وأنْ أدع جسدي وقد غدا زبدًا فوق جسدك الأسمر

المُتشح بالشمس بالعنب وبالورد

أمس شاهدتُك تنبثق من رحم جيَّان

--مباركة الأم التي بك جاءها المخاض—

اليوم رأيتُك تخترق أربعة أضلاع من قيثارتي ، الأندلس

--آهٍ يا سيفي المليح—

والآن أتملاك تنزل في "سانلوفر"

--يا إلهي ، فقد تركتني وحيدًا—

يا رفيقي ، لقد صاحبتك

خلال مسيرة طويلة

فاصغ لي متمهلًا هنيهة

خذني شفقة بي ، بالله عليك

معك خذني...

هكذا يختم الشاعر حديثه الطويل مع النهر[١٠٠] الذي استعرض فيه عظمة هذا النهر ، وما يحويه من معالم الحضارة الأندلسية ، وذلك بدعوته لأن يأخذه معه في إشارة إلى آثار الإحساس بالغربة والوحشة في بلاد المهجر التي جعلته يلتمس الحنان والدفء في مناجاة النهر ، واجترار الذكريات فيه كنوع من التعويض النفسي عمَّا يحسه من مرارة الغربة والبعد عن وطنه كما سبق الإشارة إلى ذلك.

كما نلمح دلالة استعمال أسلوب القسم في قوله: (بالله عليك-معك خذني)على الرغبة الملحة من جانب الشاعر ، فالقسم أعلى درجات التأكيد على المعنى، كما أنَّ تقديم الجار والمجرور في قوله:(معك) على فعل الأمر (خُذني) فيه حصر وقصر.

كما نلاحظ أهمية (الانزياح) في هذا الحديث الطويل مع النهر الذي أتاح للشاعر أن ينتقل بالنهر من دائرة الجمادات إلى دائرة الكائن الحي ، فقد تصوره إنسانًا يسمع ويشعر، ما أوجد حركية في الأبيات أسهمت في تنشيط الذهن عند القارئ والمتلقي كما سبق الإشارة إلى ذلك.

الجديربالذكرأنَّ علاقة الشاعر بهذا المكان (التاريخ) لم تقف عند حدود الحنين أو البكاء كما وضَّحت الأمثلة السابقة ،إنَّما تحول هذا المكان (التاريخ) بالنسبة للشاعر إلى ملاذً يلوذ به من آثار الغربة، ووحشتها كما هو الحال في قصيدة **(صدقة)** [١٠١] التي يناجي فيها مدينة (غرناطة)، ويتودد إليها مستخدمًا هذا العنوان المثير **(صدقة)** الذي يوحي بالحاجة، فالصدقة لا تكون إلَّا على محتاج أو مسكين فيقول:[١٠٢]

آهٍ غرناطة لو تُعطيني الثلج وأوتار القمر
أبداً قلبي على ابني وقلبُ ابني حجر
آهٍ ما أقسى العمىَ فيكِ وما أقسى البصر.
فلياليَّ على أعتاب بابك
ودمي الأحمر آجرُ رحابك
وأنا المنفيُّ في جنات غابك

ثم يقول:[١٠٣]

جئتُ غرناطة، شاميَّ الألم
ناصريَّ[١٠٤] الجُرح، لوركيَّ[١٠٥] النغم
جئتُ أُعطيكِ فمي ، أُعطيكِ دمِ

آهٍ غرناطة لو تُعطيني الثلجَ ، وأوتارِ القمر
آهٍ ما أقسى العمى فيكِ وما أقسى البصر
آهٍ لو أنَّكِ قلبي، آهٍ لو أنَّي حجر

نلاحظ في القصيدة السابقة حالة الحنين الشديدة التي يعيشها الشاعروالتي جاءت إفرازًا للشعور بالضياع ، فهو يستخدم كُلَّ عبارات التوسل إلى المكان **(غرناطة)** بداية من العنوان **(صدقة)** ومرورًا بالأبيات ،ويكفينا قوله:

فلياليَّ على أعتاب بابك
ودمي الأحمرُ آجرُ رحابك
وأنا المنفيُّ في جنَّاتِ غابك

فعندما يجعل الشاعر من دمه الأحمر لبنات تُبنى بها رحاب غرناطه،فهذا قمة التذلل والعشق من جانب الشاعر.،كذلك نلمح دلالة ذكر كلمة (الأحمر) بعد (دمي) على الرغبة في التأكيد على بذل دمه الحقيقي وليس غيره ؛ لأنَّ لون (الأحمر) هو الذي يميز الدم ، ويستدعي في النفس كُلَّ المعاني المتعلقه به.

كما نلمح دلالة قوله:**(أنا المنفيُّ في جنات غابك...)** على الشعور بالضياع والرغبة في الحماية ، فكلمة (المنفي) تحمل دائمًا دلالات سلبية وغير حميدة.، كذلك نلمح دلالة الجملة الاسمية في السطور الثلاث على لزوم الصفة وثباتها.

كذلك نلاحظ دلالة التكرار بين بداية القصيدة ونهايتها رغبة في التأكيد على معنى الشوق والحنين.

ونلمح كذلك دلالات قول الشاعر :**(شاميُّ الألم-ناصريُّ الجُرح-لوركيُّ النغم**)على رغبته في التأكيد على جمعه بداخله بين الماضي والحاضر، بين وطنه الأول (فلسطين) ووطنه الثاني (الأندلس).

كذلك تتجلى هذه الحالة من اللوذ بالمكان (التاريخ) من جانب الشاعر في قصيدة أخرى بعنوان (**مسجد قرطبة**):[١٠٦] التي يقول فيها:[١٠٧]

أيُّهَا الحارسُ،افتح لى البابَ

فهذا البيتُ بيتي

صحنُ المسجد ساحةٌ

–أبيض أحمر –

العواميد سيقان

–أبيض أحمر –

المِحْرابُ موجةٌ نحو الشمال الغربي

––أبيض أحمر –

أنَّىَ أولِّى وجهى فثَّمةَ وجوهُ السُوَّاح وصوتُ الدليل

وقلبي والمسجد أبيضان أحمران

أيُّهَا الحارسُ ،افتح لي الباب

فهذا البيتُ لم يعد بيتي

وأنا لستُ أنا

فقد أضعتُ المسجدَ واحتفظتُ بالحجر الأسود

–أبيض أحمر –

نلاحظ في القصيدة التأكيد من جانب الشاعر على الانتساب للمكان وهو (مسجد قرطبة) من خلال قوله:(هذا البيت بيتي) كمهرب من حالة الضياع التي صنعتها الغربة، كما أنَّ استخدام اسم الإشارة (هذا) له دلالة التعظيم والتقديس في هذا السياق،.كما نلمح دلالة فعل الأمر(افتح) في قوله:أيُّهُا الحارسُ افتح لي الباب... الذي يدل على اللهفة في الدخول وحاجته إلى المأوى ، كذلك أحقيته في هذا البيت ، فالإنسانُ لا يأمر بفتح شئ والدخول إليه إلَّا إذا كان يمتلك أحقيَّةً فيه.

ثم يشيرالشاعر في آخر القصيدة إلى ضياع المسجد في قوله:(فهذا البيتُ لم يعد بيتي)، وهو يقصد به ضياع (المسجد الأقصى) في تنويه منه بأزمة وطنه (فلسطين)، وما ترتب عليها من ضياع المقدسات الإسلامية وأهمها (القدس الشريف).

ثم نلمح دلالة اللون (أبيض –أحمر)الذي تكرر في القصيدة أربع مرات ، ما يدل على علاقة هذين اللونين بما يدور في نفس الشاعر، فاستعمال اللون لم يأت عبثًا إنَّما جاء ليعبر عن قصد بعينه عند الشاعر..

وفي قصيدة أخرى بعنوان (**معصرة الحنين**)[١٠٨] تتجلى حالة الشكوى من (الغربة)، والشعور بالضياع عند الشاعر،وحاجته إلى الإيواء والحماية ،فيدخل الشاعر في حالة من المناجاة مع مدينة (**طليطلة**)[١٠٩]، ليتحول المكان(التاريخ) هنا إلى منقذ ومُخلِّص له من حالة الضياع التي يعيشها ، وهو ما يمكن تسميته بـ (**أنسنة الأشياء**)، ومعناها إضفاء صفة الكائن الحي عمومًا والإنسان خصوصًا على الجماد فيصبح كأنَّه إنسان يشعر ويحس[١١٠]، فـ"التشخيص كان إحدى دعائم الصورة عند المهجريين فهم يطلقون على النباتات والجمادات والكائنات الأخرى صفات إنسانية رغبة في تجسيم الفكرة والتأثير في النفس وإيجاد إشعاعات حول الكلمة التي توحي بالكثير من المعاني والدلالات الخفية"[١١١].

وقد بدأ الشاعر القصيدة بقوله : (**طليطلة..طليطلة**) . والمتأمل في هذا النداء يلمح إلى أي مدى يكشف عن حالة التوتر عند الشاعر بسبب حياة الغربة والمهجر،وحاجته إلى من يُخلِّصُه من هذه الحالة ،فقد جاء النداء محذوف الأداة للدلالة على لهفة المُنادِي وهو الشاعر إلى النداء، ثم جاء المُنادَى وهو (طليطلة) مكررًا مرتين للدلالة على شدة التعلق واللهفة، فالتكرار يدل على الإلحاح في طلب الشئ لأهميته بالنسبة للمُنادِي على نحو ما سبق الإشارة.

ثم ينتقل الشاعر إلى مرحلة البوح إلى المكان فيقول:[١١٢]

هاأنا أرسفُ في قاعتك
أشرئبُ علَّني أراكِ مقبلةً
تنتشليني من براثن الزمان
من لزوجةِ الثرى
طال انتظاري في الحضيض
لا يَدَّ تُمدُّ لي ولا أرى
إلَّا سواريكِ تلوحُ من بعيد
مثل نارٍ في الذُرى

نلاحظ أنَّ الشاعر بدأ موضوع ندائه بحرف التنبيه (ها) لتهيئة ذهن السامع بموضوع النداء ، ثم شفعه بضمير المتكلم (أنا) الذي يدل على حضور ذات المتكلم وهو الشاعر، ورغبته في لفت النظر إليه ،ثم استخدم الفعل المضارع (أرسف–أشرئب) للدلالة على التلبس بالفعل، فالفعل المضارع يفيد حضور الحدث وآنيته " من هنا كانت صيغته أقدر الصيغ على تصوير الأحداث لأنَّها تُحضر مشهد حدوثها وكأنَّ العين تراها وهى تقع ، ولهذا الفعل مواقع جاذبه في كثير من الأساليب حين يقصد به إلى ذلك"[١١٣].

ثُمَّ استخدم الفعل الذي يدل على التطلع واللهفة من جانبه وهو قوله:(أشرئبُ) ثم حرف الرجاء (علَّ) وجاء متصلًا بـ (ياء المتكلم) التي تحيل إلى الشاعر في قوله: (علَّني) للتأكيد على حضور الذات، ثم شفعها بموضوع الرجاء وهو أنه يراها مقبلة لتخلصه مما فيه من معاناة ، وهنا (انزياح دلالي) مهم فقد تصور الشاعر المدينة شخصًا له إقبالٌ وإرادة.

ثم جاء البيت الرابع ليكشف علة هذا الرجاء ،وهو كي تنتشله من براثن الزمان، من لزوجة الثرى ، ثم يعبر الشاعر عن شعوره بالضياع وحاجته إلى من يحنو عليه، فيقول:طال انتظاري في الحضيض...فلايدَّ تُمدُّ له ولا يرى شيئا غير

أسوار (طليطلة)، وكأنَّه يقوم بعملية تعويض نفسي عن غربته وبعده عن وطنه (فلسطين) ، فقابل الأرض بأرض مثلها.

ثم يستمر الشاعر في حالة التوسل إلى المكان (طليطلة) ، متوددًا إليها، فيقول: [١١٤]

جزيرةَ النُّورِ افتحي ، ولو هنيهةً
بُيوتَ الرَّبِ لي وهيكله
يابن الجليل مذ وُلدِتُ أحملُ الصليبَ
أروى بدمائي الجُلجُلة [١١٥]
طليطلة..طليطلة
ظمئتُ
هل من قطرة هنا تروِيني؟
كرْمي هناك في الدليل لم يعدْ كرْمي
ودمي جفَّ من حين

نلاحظ عبارات التوسل مثل:(ظمِئتُ–هل من قطرة هنا تروِيني؟– كرْمي هناك في الدليل لم يعد كرْمي) ، وكأنَّ الشاعر يقدم مسوغات لجوئه واستغاثته بالمكان (طليطلة) ، كما نلاحظ دلالة حضور اسم الإشارة (هنا) واسم الإشارة (هناك) في الأبيات على رغبة الشاعر في تحديد (المكان) ودلالته عنده ، فقد تحول اسما الإشارة (هنا/هناك) في النص من مجرد بنية لغوية يشار بهما إلى المكان سواء كان قريبًا (هنا) أو بعيدًا (هناك) إلى رمز يرمز به إلى موقف الشاعر من (المكان)،ف (هنا) تحمل دلالات التوتر والضيق بالنسبة للشاعر ؛ لأنَّها تُحيل إلى حياة الغربة والمهجر بمتاعبها وآلامها ، أمَّا (هُناك) فتحمل دلالة الحنين والشوق ؛ لأنَّها تُحيل إلى الوطن الأم بالنسبة للشاعر وهو (فلسطين) ،وهكذا استطاع الشاعر أن يشحن اللفظين بدلالات وظلال أخرجتهما من حياديتهما ودلالتهما اللغوية الضيقة إلى دلالاتٍ ومعانٍ أخرى أرحب وأوسع.

ثم يقول الشاعر طالبًا الإيواء:[١١٦]

يا مرفأ التاريخ ، تاريخي انتهى

حين نسيتُ اسمي

فضُميني

لحضنك العائم في الموج

وآويني

حُرِمتُ

طعمَ الأرض

خمرَ الحب

دِفءَ البيتِ

فارحميني

مثل "رحى المورو"[١١٧] بواديك آنئذٍ

نلاحظ في الأبيات السابقة عبارات التوسل إلى المكان كما في أفعال الأمر:(ضُميني ،آويني، ارحميني) ،وهى تحمل دلالة الحاجة الملحة من ناحية الشاعر إلى الحنان والرغبة في الإيواء من قسوة الغربة وجفائها وجفوتها ،وفيها لونٌ من الانزياح الدلالي فقد تحول (المكان) في نظر الشاعر إلى إنسان يمتلك خصائص الكائن الحي مثل الضم والحنان والرحمة ، وهذا من شأنه إضفاء الحيوية والحركة على الكلام في البيت لأنَّ فيه تشخيصًا.

ثم نلمح العبارات الدالة على الشكوى مثل الفعل الماضي (حُرِمتُ) الذي جاء مسندًا إلى غير فاعله ؛ ليفتح الباب واسعًا أمام القارئ والمتلقي للتأويل ، والسؤال عن الذي يقف وراء حرمان الشاعر، هل هى ظروف سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية،أم كُلُّها مجتمعة معًا في آن واحد.؟. وفي ذلك دلالة على أنَّ حرمان الشاعر جاء قسريًا وليس باختياره ،وفي ذلك إدانة أيضًا صريحة للظروف المأساوية التي وُضِع فيها ومن هو على شاكلته من أبناء وطنه ، وعدم

رضاه على حياة الغربة والمهجر ،وإدانة ضمنية للمشكل الأول والأخيرفي حياة الوطن (فلسطين)العدو الصهيوني الذي يشكل العامل الرئيس وراء غربة الشاعر وأقرانه من أبناء وطنه.

ثم نلمح متعلقات هذا الفعل (حُرِمتُ) وهى على التوالي(طعمُ الأرض)–(خمرُ الحب)–(دفءُ البيت) ، وكُلُّها تقوم على الانزياح ، فقد خرج (الإسناد) في الجمل السابقة عن الحقيقة إلى المجاز، فأُسند الطعمُ إلى الأرض،والخمرُ إلى الحب ، والدفءُ إلى البيت ؛ ما أوجد شعرية في الكلام وصنع فيه جمالية تستدعي ذهن القارئ والمتلقي، وتحدث في عقلهما صدمة تثري عملية التلقي للنص ، فأسلوبية الكلام وجماليته تتحققان بخروج هذا الكلام عن المألوف والمعهود لدى القارئ والمتلقي، كما أنَّ ذكر كلمتي (الأرض–البيت) فيه دلالة على تعلق الشاعر الشديد بوطنه ومسقط رأسه ، فالكلمتان تفوحان برائحة الحنين والرغبة من جانب الشاعر إلى العودة إلى وطنه ومسقط رأسه (فلسطين)، فالكلمات لم تُوجد هنا اعتباطًا ، إنَّما جاءت لتحمل رمزية ودلالة ، وبذلك تكتسب الألفاظ تجددًا وحياة أخرى بوضعها في السياق.

ثمَّ نلمح أيضًا دلالة عبارات المديح في قوله (جزيرة النور) ،(يا مرفأ التاريخ) على حب الشاعر للمكان وتقديسه له ، وهو ما يمكن أن يُطلق عليه (الاستراتيجية التضامنية) في الخطاب[١١٨] التي تقوم على أساس إضفاء الصفات الحميدة على المخاطب لاستقطابه تجاه المتكلم ، فالسامع أو المخاطب مجبول على حب المديح والثناء، ويكون أكثر استجابة للكلام عندما يُمهد له بعبارات المديح والثناء ، فقد وصف الشاعر (طليطلة) بأنَّها (جزيرةُ النور) ، وبأنَّها (مرفأ التاريخ) ؛ أي مرسى التاريخ أو المكان الذي ينتهي عنده التاريخ، كما ترسو السفن في مراسيها ، وفي ذلك دلالة على عراقة هذه المدينة ، ورسوخ قدمها في التاريخ والحضارة.

ثم يختم الشاعر القصيدة بقوله الذي يوحي فيه بحاجته إلى من يحميه من آلام الغربة:[١١٩]

طليطلة...طليطلة

على شفا الموت أنا،

طليطلة...طليطلة

هأنذا أرسف في قاعتك

أشرئب علَّني أراكِ مُقبلة

هأنذا والمهزلة

ناصرتي

جئتُكِ، أين حفرتي

ما أضيعَ الذي أضاع منزله!

نلاحظ أنَّ الشاعر يعيد تكرار النداء في قوله:(طليطلة) ،وفي قوله:(هأنذا أرسف في قاعتك) وفي قوله: (أشرئب علَّني أراك مقبلة)، وفي ذلك تأكيد من جانبه على شعوره بالضياع، وتأكيد أيضًا على حاجته إلى المأوى ، فالتكرار أدى وظيفة ومهمة ، وطوَّق القصيدة.

كما نلمح دلالة أسلوب التعجب في قول الشاعر:(**ما أضيعَ الذي أضاع منزله !**) على الشعور بالحسرة من جانبه على فراق الوطن وترك المنزل والبيت،كما فيه تنبيه على حالة الإنسان الغريب، فهو في ضياع وتشتت ، كما أنَّ الفعل (أضاع) جاء مُتعديًا بالهمزة إلى المفعول(منزله)، وفي ذلك اتهام من الشاعر لنفسه في حق وطنه وبيته ومنزله ،كأنَّه هو الذي أضاع منزله، فالألفاظ تشع بالرمزية والدلالات، مما يوحي بقدرة الشاعر على توظيف العلامات اللغوية توظيفًا مثمرًا ومُعبرًا عن قصده ومراده.

هكذاتجلى المكان (التاريخ) في شعرمحمود صبح من خلال استلهامه للأندلس:تاريخًا وحضارة، وقد شكَّل هذا المكان بالنسبة للشاعر معادلًا موضوعيًا

للحماية والملاذ والعوض النفسي عن الغربة عن الوطن ؛ لما يحتفظ به من أمجاد المسلمين والعرب في الأندلس.

-المبحث الرابع:الغربةُ وتجلِّياتُ المكان (الطبيعة) في شعر محمود صبح

يُشكِّلُ المكان (الطبيعة) أهمية كبيرة بالنسبة لشعراء المهجر بصفة عامة، لما يمثله هذا المكان من بيئة مناسبة للتأمل والاسترواح من عناء الغربة،وإطلاق العنان والتفكير في قضايا الحياة والوجود على نحو ما كان يفعل الرومانتيكيون،فقد كان من" مبادئهم حب الخلوة واعتزال الناس ،لأنَّ المجتمعات مباءة ،ومثار المشكلات وعبء على ذوي النفوس الرقيقة الشعور"[١٢٠]

وتُعدُّ نزعةُ التأمل من الملامح المميزة لشعراء المهجر فقد" تأملوا الحياة والوجود والنفس الإنسانية والموت والخلود والعدم وقيم الإنسانية ومبادئها"[١٢١]،مما طبع أدبهم بطابع الرقة والتسامي، فـ"التجربةُ التأمليةُ من أرقى التجارب الأدبية إذ تتعاون في تكوينها قوى الإنسان العقلية والشعورية والروحية والجمالية ، فتخرجُ مادةً هى مزيج من القدرات السابقة كلها ، فترضي كُلَّ ذي فطرة نقية ؛ لأنَّ صاحبها فيه من الفيلسوف حكمته، ومن الشاعر رقته ، ومن الصوفي شفافيته، ومن الفنان ذوقه ونبوءته"[١٢٢]

وقد استدعت الغربة المكان(الطبيعة) في شعر محمود صبح من خلال مقطوعات شعرية كثيرة، وشكَّل هذا المكان بالنسبة إليه مهربًا من آلام هذه الغربة ومعاناتها ، فقد أتاح له إطلاق العنان والتأمل على عادة شعراء المهجر، على نحو ما سبقت الإشارة.

ومن مظاهر حضور هذا المكان (الطبيعة) عند محمود صبح قصيدة **(حقل قشتالي)**[١٢٣]، التي يقول فيها:[١٢٤]

لو كنتَ يا أخي هنا معي

ولمستَ أديم هذه الجذور

في بطون الأعماق
لرأيتَ العُقمَ الخصبَ.
الأرضُ، يبابٌ لكنَّها مِعطاءٌ،
مثل حياتنا بلا معنى
بيد أنَّ علينا أن نغرس فيها
حواسنا وأحاسيسنا
هَهُنا الأشياءُ ليست بأشياء
هَهُنا البشرُ أجل هم بشر،
وأنا هُنا أُولد من جديد

ثم يقول:[١٢٥]

استمع معي ،يا أخي،
إلى هذه النسائم التي تأتي
برسائل طيور لا تُرى،
وما ذاك من تزاحم الأدغال
بل لأنَّ الأفاق هنا ذات تجاويف
وما ذاك من كثافة الدياجير
بل لأنَّ الألوان المتلألئة بين بين
تُحلِّقُ مع العصافير أبعد من مرمى البصر.

نلاحظ أثر الغربة في هذه القصيدة وفي هذا الوصف لهذا المكان الطبيعة (الحقل) حيث تبرز معاني الضياع والشعور بآثار الغربة عند الشاعر من خلال ألفاظ موحية مثل:الأرض يباب ،هَهُنا الأشياء ليست بأشياء ، كذلك الجمع بين المتناقضات الذي يعكس اضطراب المعاني في النفس بسبب الغربة كقوله:الأرض هنا يباب ولكنَّها مِعطاءٌ.

كما نلمح فرحة الشاعر بجمال هذا الحقل ، وشعوره بالراحة النفسية في قوله: (هَهُنا البشرُ أجل هم بشر) وقوله:(وأنا هنا أولدُ من جديد)، كما نلاحظ مفردات تعكس الشعور بالسعادة من جانب الشاعر كما في كلمات :ألوان– طيور– نسائم ، كذلك استخدم تراسل الحواس في قوله:(استمع إلى هذه النسائم)، فجعل المشموم مسموعا..،فالأصل في النسائم أن تُشم ولا تُسمع،مما أحدث كسرًا لأفق التوقع عند القارئ والمتلقي نتج عنه الشعرية والجمالية في النص.

فالقصيدة تعكس تطلع الشاعر إلى حياة الجمال والطبيعة ، فهو يرى فيها النموذج المثالي للحياة السعيدة التي لاتعرف البؤس ولا الشقاء ولاالظلم، فالعودة إلى الطبيعة"عودة إلى الفطرة والذات ، وهى إذن إعادة الاعتبار إلى العفوية والحرية، هى تجاوز للتقاليد بصيغها الاجتماعية والفنية"[١٢٦]

وفي قصيدة **(كهوف نيرخا)**[١٢٧]يحضرالمكان(الطبيعة) عند الشاعرحيث يتأمل هذه الكهوف ، فيقول:[١٢٨]

حدثيني أيَّتُها الكهوفُ عن ذويك

أين أولئك الذين حفروك ؟

أين الحجرات وأين الأحداث؟

كم هو بديع تآخي المساكن والمقابر

أين المراقم التي نقشت

لوحات حجرية في هذا الصخر؟

قولي لي،لماذا كان أهلوك

يبحثون في أعماق الأرض عن السماوات؟

أفكانت جذورهم في السماء

ثم راحت تنمو نحو أديم الثرى ؟

فالشاعر يتأمل تلك الكهوف،ويسألها عن الذين بنوها وعمَّقوا حفرها في الأرض مستخلصًا بذلك العبر والعظات ، مسجلًا إعجابه ودهشته ورؤيته

للأشياء مستخدمًا في ذلك أسلوب الاستفهام بكثرة الذي يتيح له إطلاق التفكير إلى أقصى درجة ممكنة،ويضفي حيوية وحركية على الأبيات؛لأنَّه يستلزم مُخاطَبًا ويستلزم جوابًا على الاستفهام،كما هو الحال في قوله:(أين –كم– أفكانت–لماذا–) ، كذلك استخدم فعل الأمر وهو لون من الطلب كالاستفهام يثير الذهن أيضًا، كما هو الحال في الفعل:(حدثيني– قولي) ، فوجود (الاستفهام والأمر) معًا في نص واحد من شأنه إضفاء الحيوية على هذا النص ، ودفع الرتابة عنه.؛ لأنَّ فيه شُعورًا بوجود صوت آخر مع صوت الشاعر.

كذلك يتأمل الشاعر غابات زيتون في مدينة (جيَّان) في قصيدة (**غابات زيتون في جيَّان**)[١٢٩]، **فيقول:**[١٣٠]

ما من دَبَّابة هنا

وهذه ليست بأرتال جنود

أو نمور وأفاع.

إنَّها غاباتُ أشجار الزيتون في "جيَّان"

وهى النور والحياة

وكُلُّ شئٍ في هذه البلدة أخضر بشوش.

أفما ترى هذه الدروب التي تؤدي إلى الزرقة الصافية؟

لاتخف،لاتختبئ في الخنادق،

فليس من حقد هنا، وما من انتقام هنا يلوح.

فهذه ليست أريحا ،هذه هى "جيَّان"

فعانقْ هنا زيتونة وأنس

ثم يقول مستذكرًا عهود الخوف في فلسطين مسقطًا الكلام على حالته هو من حيث الضياع والتشريد:[١٣١]

آهٍ أيَّتُها الحمامةُ المذعورةُ

الجريحةُ في أعماق الذاكرة،

فهى أبدًا تبحث ولاتعثر على عشها

أو على مأوى ظليل.

واضح أنَّ الشاعر يبدي إعجابه بهذه الغابات (غابات الزيتون) الموجودة في (جيَّان) ، فيرى فيها الجمال ،والحياة، والأمن، والأمان ،والحب ،وعدم الحقد ،فهى ليست (أريحا) تلك المدينة الفلسطينية التي تعاني تحت الاحتلال، وأصبحت مكانًا للذعر والخوف عند الشاعر ، وهو بذلك يستثمر النزعة التأملية في التعبير عن موقفه من الجمال والطبيعة ، فهو شاعر عاشق للجمال والهدوء والأنس ، ينبذ كُلَّ عنف، وكُلَّ حرب، وكُلَّ قتل، ويكفي قوله:**(كُلُّ شئ في هذه البلدة أخضر بشوش)**؛ لذلك يدعو إلى معانقة (زيتونة) والأنس بها .

فالقصيدة تكشف عن بحثه عن عالم المثاليات والجمال ، كما هو شأن كل شعراء المهجر.. فالقصيدة ترسم نموذج الحياة الذي ينشده الشاعر المهجري.

وفي قصيدة"**نخلة عند البحر الكانتبري**"[١٣٢] يقول الشاعر متأملًا هذه النخلة ومتحدثًا إليها:[١٣٣]

أيَّةُ ريحٍ أدنتكِ من هذه الأرض

التي ما تجرأ جملٌ أو حصانٌ عربيٌّ على اجتيازها؟

مَنْ غرسكِ بين البحر المُعادي والجبل الممتنع

في هذا الموضع من "خيخون"[١٣٤] حيث يقوم ألف "دون" (بيلايو)[١٣٥]؟

كيف أنتِ تُحاطين بهؤلاء الأصدقاء الكثر الذين يأوون إلى فيئك الزهيد؟ إلى الصحراء؟

نلاحظ أنَّ الشاعر بدأ حديثه إلى النخلة باستفهامات مثيرة كما هو الحال في قوله:أيَّةُ ريحٍ؟- منْ غرسكٍ؟- كيف أنت ؟. كأنَّه رأى في وجود النخلة في هذا الموضع شيئًا عجيبًا وغريبًا وغير طبيعي يستحق التأمل ويثير الاستفهام، فقد أسقط على النخلة من نفسه وأحاسيسه ومشاعره المكلومة بسبب الغربة ، ما جعل وجودها شيئًا مثيرًا للاستفهام؛ ليبرز معنًا معينًا في نفسه.

ثم يقول متأوهًا:[١٣٦]

آهٍ يا رمزَ طفولتي المُجَسَّدُ ، يا شكل حنيني
آهٍ يا شُعاعًا أخضر ينتصب بين البحرِ والسماءِ
ويُدني مني اليوم رسالة أرضي السليب

نلاحظ من خلال هذه السطور الثلاثة أنَّ النخلة تحولت بالنسبة إلى الشاعر إلى رمز لطفولته الضائعة والمغتربة ،فقد رأى فيها نفسه وطفولته ، فكما أنَّ وجود النخلة في هذا المكان يعد اغترابًا من منظوره هو ، كذلك كانت طفولته، كأنَّ هذا الوجود غير الطبيعي لهذه النخلة –كما تصوره الشاعر– استدعى عنده معانى ودلالات سلبية ،وذكَّره بلحظات طفولته الضائعة والمغتربة، فـ"النخلة عند الوجدانيين شجرة رومانسية إن صح هذا التعبير، يجدون فيها من المعاني المختلفة ما يلائم أحوالهم النفسية وميولهم الفنية ، فهى أحيانًا رمز للشموخ ، وأحيانًا للسكينة ، وأخرى للتفرد والعزلة ، وهى توحي بكثير من الصور الفنية التي يراها الشاعر في وجودها المادي أو فيما ينطبع حولها في وجدان الشاعر من خبالات وأحاسيس"[١٣٧]

وهنا يبرز الفرقُ بين رؤية الشاعر للأشياء ، ورؤية الإنسان العادي لها، فالشاعر عندما يرى الأشياء يراها رؤية خاصة به ، فيرى فيها أشياء كثيرة لايراها الإنسان العادي ، فالشاعر هنا لم يرَ النخلة مجرد نخلة ،وإنَّما رأها معانى ودلالات ورموزاً على ماضٍ أليم بالنسبة إليه.، فشعراء المهجر"لايلتفتون كثيرًا إلى مشاهد الطبيعة لذاتها، بل لكي يربطوا ربطًا سريعًا بينها وبين بعض أحاسيسهم أو لحظاتهم النفسية...وقد يقع الشاعر نتيجة لذلك في كثير من العثرات الفنية لإلحاحه على النظر إلى الطبيعة من تلك الزاوية النفسية الخاصة ، وإخضاع كل عناصرها لكي تصبح رموزًا لمشاعره"[١٣٨]

هكذا شكل المكان (الطبيعة) بعدًا آخر من أبعاد المكان عند الشاعر محمود صبح، عكس من خلاله تأثره السلبي بالغربة وآلامها، فأصبحت تشكل

عنده معادلًا موضوعيًا لكل معاني الجمال والراحة والنور التي ينشدها ويبحث عنها هروبًا من هذه الغربة.

سادسًا:نتائج الدراسة:

-استدعت الغربة (المكان) في شعر محمود صبح بأبعاده الأربعة:(المهجر/الوطن/التاريخ /الطبيعة)،وخلقت منه موضوعًا بارزًا ،وملمحًا واضحًا من ملامح هذا الشعر،مما طبع هذا الشعر بطابع المكانية، ومنحه خصوصية موضوعية وجماليَّة.

-ألقت الغربة بظلالها على (المكان)عند الشاعر،فتشكل في ضوء معاناة الشاعر النفسية في هذه الغربة،فخرج عن حياديته وطبيعته، وأصبح مكانًا نفسيًّا ، ومعادلًا موضوعيًّا لكثير من المواقف النفسية والشعورية التي خلقتها الغربة داخل الشاعر؛مما يعكس الأثر الشعري في توظيف الأشياء.

-حددت الغربة موقف الشاعر(محمود صبح)من المكان وعلاقته به:شكوىً،وحنينًا ،وبكاءً،وتأملًا.؛ مما أسهم في تنوع الفضاء الشعري في الديوان.

- أسهمت الغربة في تنوع أسلوبية المكان عند الشاعر، فقد استدعى كلٌّ مكان من الأماكن الأربعة أسلوبًا خاصًا يتوافق والموقف النفسي والشعوري منه عند الشاعر،ممَّا أشاع الجماليَّة والشعرية في النص..

-ألجأت الغربةُ الشاعر إلى الدخول في علاقة تخاطبية مع المكان: (نداءً ، ومناجاة، واستغاثة) من خلال (آليَّة التشخيص)، مما أضفى على المكان صفة الكائن الحي، وخلق حالة من الجماليَّة والشعرية في الكلام، كذلك خلق حالة من الحركة والحوارية في النص دفعت عنه السكونية والجمود.

-تحولت الغربة بالمكان عند الشاعر (محمود صبح) من موضوع للوصف إلى خطاب يعبر عن موقفه من أزمته في حياة المهجر .

-أسهمت الغربة في إبراز الطبيعة الجميلة للمكان (الوطن) عند الشاعر من خلال استدعاء مفردات البيئة الفلسطينية مثل: كروم الخليل، ودوال الجليل ،وحصن الزيتون ،وبيارة البرتقال ،وبحر المِنِّية والزعفران ،والزنابق والبرتقال

-أسهمت الغربة في بعث كثير من الإشارات المكانية والشخصية المتعلقة بحضارة العرب والمسلمين بالأندلس في ديوان الشاعر من خلال تجليَّات المكان(التاريخ)، فامتلأ الديوان بأسماء المدن الأندلسية التي شهدت هذه الحضارة مثل:طليطلة-جيَّان-قرطبة- قشتالة-مدينة الزهراء-الوادي الكبير، غرناطة، كذلك امتلآ الديوان ببعض أسماء الشخصيات الأندلسية التي هى بمنزلة منارات وعلامات على هذه الحضارة مثل:ابن زيدون- ابن قزمان -بنو عَبَّاد- بنو أمية -ولادة بنت المستكفي-عبد الرحمن الغافقي-الخليفة الناصر إلى غير ذلك من الأسماء الأخرى، ممأكسب شعر (محمود صبح) بعدًا آخر غير بعده الجمالي والفني.

- أسهمت(الغربة) في خلق حالة خاصة عند الشاعر من التعامل مع المكان /الطبيعة،والتحول بها من كونها طبيعة محسوسة وملموسة إلى رمز للمعاني داخل النفس والذات،مما يعكس التوظيف الخاص والرمزي للطبيعة في النص الشعري عند شعراء المهجر.

- كشفت (الغربةُ)عن الطبيعة السلطوية للمكان،،فليس المكان مجرد حيز مادي صامت يقيم فيه الإنسان ،إنَّما هو سلطة تؤثر في هذا الإنسان سلبًا أو إيجابًا،فقد جاءت تجربة الشاعر(محمود صبح) نتاج تأثره بهذه السلطة للمكان.

-أسهمت الغربة في تشكيل المكان عند الشاعر تشكيلاً تداوليًّا ،وذلك من خلال استعمال اللغة استعمالًا خاصًا يكشف عن موقفه من المكان ورؤيته له، ورغبته في التأثيرفي القارئ والمتلقي، وإظهار معاناته لهما في بلاد المهجر،بوصفهما شريكين في عملية الإبداع

-طبعت الغربة المعجم الشعري المكاني في الديوان بطابع العفوية والسهولة والتحرر؛ ليكون قادرًا على احتواء حالة التوتر عند الشاعر والناجمة عن تأثيرات هذه الغربة.

الهوامش

[١] -اعتمد الباحث في هذه الترجمة على مقدمة الدكتور أحمد يوسف خليفة لديوان:(قبل-أثناء -بعد)- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر-الإسكندرية ٢٠٠١م من ص ٣-١٠، وقد اعتمد مقدم الديوان في هذه الترجمة للشاعر وديوانه على مقابلة بينه وبين الشاعر ذاته أثناء بعثة الأول في مدريد بإسبانيا ،وانظر-أيضًا- في ترجمته مقال بعنوان: محمود صبح قنطرة وصل بين الإسبان والعرب-سميح مسعود-الحوار المتمدن-العدد ٥٩٩٣-٢٠١٨/٩/١٣م الموقع على النت http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=611417&r=0 ، وانظر أيضًا:معجم المؤلفين المعاصرين-محمد خير رمضان يوسف-ج١-مكتبة الملك فهد الوطنية-الرياض ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ص٧٦٤ ، وانظر:ذاكرة الشعر...ذاكرة الوطن(الشاعر الدكتور /محمود صبح :طائر فلسطين وغرِّيد صفد المهاجر) –الشاعر الناقد محمود حامد-مؤسسة القدس للثقافة والتراث- الموقعhttps://alqudslana.com/index.php?action=article&id=2455

[٢] -انظر:على سبيل المثال كتاب :مختارات من الشعر الأسباني المعاصر- نرجمة د/محمود صبح- ط٢دار الشؤون الثقافية والإعلام-العراق-بغداد-الأعظمية ١٩٨٦م، ومذكرات الشاعر التشيلي الكبير بابلونيرودا"أشهد أنني قد عشت"-المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت-لبنان-ط٣- ٢٠١٥م ، ورواية دون كيخوته في القرن العشرين ، وكتاب:نماذج من المسرح الإسباني المعاصر(انظر:محمود صبح :قنطرة وصلبين الإسبان والعرب-سميح مسعود-مرجع سابق)

[٣] -انظر:محمود صبح قنطرة وصل بين الإسبان والعرب-مرجع سابق

[٤] -انظر المرجع نفسه

[٥] -انظر :المرجع نفسه، وقد نشر هذا الكتاب:المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت-لبنان

[٦] -انظر :مقدمة الديوان/ص٦، وانظر:محمود صبح قنطرة وصل بين الإسبان والعرب-مرجع سابق

[٧] -في الميزان الجديد/ مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر- القاهرة-٢٠٢٠م ص ٧٤

[٨] -انظر نفسه/نفس الصفحة

[٩] -انظر:د/ أحمد يوسف خليفة /مقدمة الديوان/ مرجع سابق/ ص ٦

[١٠] -انظر:نفسه /ص١١

[١١] -انظر: نفسه /ص ٦

[١٢] -نفسه /نفس الصفحة.

[١٣] -الحنين إلى الأوطان-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ- ط٢- دار الرائد العربي-بيروت-لبنان- ١٤٠٢-١٩٨٢م ص١٠

[١٤] -انظر:الديوان /ص ٤٧

[١٥] -انظر :نفسه /نفس الصفحة

[١٦] -نفسه /نفس الصفحة

[١٧] -انظر في وظائف العنوان:: عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) عبد الحق بلعابد – تقديم د٠سعيد يقطين-ط١ –الدار العربية للعلوم –منشورات الاختلاف-الجزائر-١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م – ص ٦٥ ، وما بعدها.

[١٨] -انظر أقوال الحكماء في أهمية الوطن-الحنين إلى الوطن- أبو عمرو عثمان الجاحظ- مرجع سابق

[١٩] - إستراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية –عبد الهادي بن ظافر الشهري-ط١-دار الكتاب الجديد المتحدة-بيروت –لبنان-٢٠٠٤م ص ٣٩

[٢٠] - قضايا الشعر المعاصر – نازك الملائكة - ط٣-منشورات مكتبة النهضة-١٩٧٦م ص٢٤٢

[٢١] -المرجع نفسه ص/٢٤٢-٢٤٣

[٢٢] -انظر:آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر- د/محمد محمود نحلة- دار المعرفة الجامعية- الاسكندرية ٢٠٠٢م- ص ٢١وما بعدها

[٢٣] -انظر: نفسه /نفس الصفحة

[٢٤] -خصائص التراكيب(دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)-د.محمد محمد أبو موسى-مكتبة وهبة- ط٤-١٤١٦هـ/١٩٩٦م ص٢٠٠

[٢٥] - -علم الأسلوب:مبادئه وإجراءاته-د/صلاح فضل-ط١-دار الشروق –القاهرة-١٤١٩-هـ- -ص٣٢١

[٢٦] -طه :آية: ١٤

[٢٧] - مستجدات النقد الروائي-د/جميل حمداوي-ط١-٢٠١١م-بدون مكان طبع.-ص١٠٢

[٢٨] -انظر في خصائص الجملة الاسمية: علم الأُسلوب:مبادئه وإجراءاته- د/صلاح فضل-ط١-دار الشروق –القاهرة-١٤١٩-هـ-١٩٩ ص ٢٨٥

[٢٩] -انظر:الحنين والغربة في الشعر العربي:(الحنين إلى الأوطان)-يحيى وهيب الجبوري - ط١- مجدلاوي -ط١/١٤٢٠/٢٠٠٨م عمان-الأردن ص١٨

[٣٠] -انظر في ذلك: فلسفة المكان في الشعر العربي-قراءة موضوعاتيه جمالية-د/حبيب مؤنسي- منشورات اتحاد الكتاب العرب-دمشق-٢٠٠١م

[٣١] -انظر/الديوان ٦٧

[٣٢] -انظر/نفسه /١٠٢

[٣٣] -انظر/نفسه /نفس الصفحة

[٣٤] -انظر:الديوان ص ١٥٤

[٣٥] -انظر :نفسه /ص ١٥٤

[٣٦] -انظر:نفسه /نفس الصفحة

[٣٧] -انظر:الديوان /ص ٩٦

[٣٨] -انظر:نفسه /نفس الصفحة

[٣٩] -انظر الديوان ص ٣٨

[٤٠] -انظر الديوان ص ٣٧

[٤١] -انظر:نفسه/ ص ٨٣

[٤٢] -انظر:نفسه /نفس الصفحة

[٤٣] -منطقة تقع بين مدريد وجيان

[٤٤] -انظر:الديوان /ص ٨٣

[٤٥] -انظر:نفسه/نفس الصفحة

[٤٦] -انظر:نفسه/نفس الصفحة

[٤٧] -هو (فرانثيسكو كيبدو) من أعظم شعراء الإسبان

[٤٨] -انظر:الديوان /٦٢

[٤٩] -انظر::نفسه /نفس الصفحة

[٥٠] -يقصد به (الزعتر) ، ولكنَّها وردت في الديوان هكذا بالسين(السعتر).

[٥١] -سورة قريش:آية ٣-٤

[٥٢] -النحل ١١٢

[٥٣] - الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية :نظرية وتطبيق)- د/ عبد الله الغذامي – ط٦ – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب -٢٠٠٦م ص /٢٣٤ - ص ٢٨

[٥٤] -نفسه/ ص ٤٧

[٥٥] -انظر:الديوان/٨٦

[٥٦] -انظر:نفسه /نفس الصفحة

[٥٧] -انظر:نفسه/ ص ٨٢ ، وقد كتبت القصيدة في الديوان بهذا الشكل المتعرج، الذي يعكس تعرج المعاني في نفس الشاعر بسبب الغربة وآلامها.

[٥٨] -المِنية بكسر الميم وتشديد الياء :بلدة بلبنان تتمتع بجمال الطبيعة وبها بحر اسمه بحر المنية

[٥٩] -الزنابق نوع من الزهور ذات الألوان الجميلة

[٦٠] -النور آية ٣٥

[٦١] -سورة التين آية ١

[٦٢] -هى مدينة أثرية تقع بمحافظة (حمص) بسوريا

[٦٣] -اسم علم مؤنث يوناني معناه الموهوبة الحياة

[٦٤] -انظر:نفسه/ ص ٦٣

[٦٥] -انظر:نفسه/نفس الصفحة

[٦٦] -الأعراف-١٨٨

[٦٧] -انظر أثر الأندلس في شعراء المهجر:أدب المهجر/عيسى الناعوري/مرجع سابق / ص ٢٣٨، وما بعدها

[٦٨] - الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر - د/ عبد القادر القط -بدون ط-مكتبة الشباب- القاهرة ١٩٨٨ ص -٣١٨

[٦٩] -انظر:الديوان ص ١٠٨

[٧٠] -انظر:نفسه /نفس الصفحة

[٧١] - انظر :دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث-د/أحمد درويش-دار غريب –القاهرة –بدون ط- ص١٦٣

[٧٢] -من أسرار اللغة-د/إبراهيم أنيس-ط٦ مكتبة الأنجلو المصرية-١٩٧٨ص٢٨٣

[٧٣] -دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث-مرجع سابق –ص ١٦٢

[٧٤] -انظر :المرجع نفسه:ص١٦٧

[٧٥] - النحو الوافي –د/عباس حسن –ط٣-دار المعارف بدون ت -ج١ ص٢٨٦

[٧٦] -إحدى مدن الأندلس

[٧٧] -انظر:الديوان / ص ١٠٧

[٧٨] -سورة الشعراء ١٢-١٣

[٧٩] - انظر:اللغة واللون - د/أحمد مختار عمر ط٢-عالم الكتب القاهرة- ١٩٩٧-ص ١٥٧

[٨٠] - سورة يوسف آية:٨٤

[٨١] -انظر:الديوان /ص ٧٠

[٨٢] -انظر:نفسه /نفس الصفحة

[٨٣] - انظر/ديوان امرئ القيس-طبعه وصححه مصطفى عبد الشافي-ط٥-دار الكتب العلمية-بيروت –لبنان- ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م-قافية اللام ص١١٠

[٨٤] -- الشعر العربي المعاصر-قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية- د/ عز الدين اسماعيل -ص٣٢

[٨٥] -انظر:فصول في علم اللغة العام-ترجمة د/أحمد نعيم الكراعين- دار المعرفة الجامعية- بالأسكندرية-١٩٨٥م- ص ٤٠ وما بعدها

[٨٦] -انظر الديوان/ مرجع سابق /١١٧

[٨٧] - أدب المهجر:د/صابر عبد الدايم/ مرجع سابق ص ٣٨

[٨٨] -فن الزخرفة العربية

[٨٩] -عصا الملك وهى رمز السلطة العربية والإسلامية

[٩٠] -يقصد قول ابن زيدون في ولادة بنت المسنكفي:

إني ذكرتُكِ بالزهراءِ مُشتاقًا- والأفق طلق ومرأى الأرض قد راقا- (أنظر:ديوان ابن زيدون- دراسة وتعليق عبد الله شنده-ط١-دار المعرفة-بيروت –لبنان- ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م- ص ٥١)

[٩١] -انظر/الديوان ص ١٣٠وما بعدها

[٩٢] -الوادي الكبير أو النهر الكبير هو نهر إسباني يجري في منطقة الأندلس ويصبُّ في المحيط الأطلسي غربي مضيق جبل طارق،أطلق الفينقيون عليه اسم بايتس، والرومانيون سموه بيتيس ، وأطلق عليه المسلمون النهر الكبير ويبلغ طوله ٦٥٧كم انظر:الموسوعة الحرة(وكيبيديا): https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D8%AF%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A8%D9%8A

[٩٣] -انظر:الديوان/ ض ١٣٠

[٩٤] -انظر/نفسه /نفس الصفحة

[٩٥] -انظر/نفسه/نفس الصفحة

[٩٦] -انظر/نقسه/نفس الصفحة

[٩٧] -انظر/نفسه- ص ١٣٢

[٩٨] -انظر:نفسه /نفس الصفحة

[٩٩] -انظر:نفسه /نقس الصفحة

[١٠٠] -اكتفى الباحث بهذه الأجزاء من القصيدة ، نظرًا لطول أبياتها وكثرة مقاطعها.

[١٠١] -انظر:نفسه /ص٧٧

[١٠٢] -انظر:نفسه/ نفس الصفحة

[١٠٣] -انظر:تفسه /نفس الصفحة

[١٠٤] -في إشارة إلى قرية الناصرة بالقدس الشريف

[١٠٥] -نسبة إلى (لوركا) أحد الشعراء والمعنيين المشهورين بإسبانيا ، وقد ألف الشاعر كتابًا عنه ، سبق الإشارة إليه في تمهيد البحث.

[١٠٦] -انظر:نفسه/ ص١٠٦

[١٠٧] -انظر/نقسه /نفس الصفحة

[١٠٨] -انظر:الديوان /ص ٤٤

[١٠٩] -إحدى مدن الأندلس

[١١٠] -انظر: دراسة في البلاغة والشعر- د/محمد محمد أبو موسي-ط١-مكتبة وهبة-القاهرة-١٤١١هـ-١٩٩١م-ص٥٢

[١١١] -أدب المهجر:دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري د/صابر عبد الدايم-ط١ دار المعارف بالقاهرة-١٩٩٣م ص ١٨٦

[١١٢] -انظر الديوان / ص٤٤

[١١٣] -خصائص التراكيب- مرجع سابق ض ٢٦٤

[١١٤] -انظر/نفسه /نفس الصغحة

[١١٥] -اسم مكان مقدس في القدس الشريفة يعكس تعلق الشاعر بمقدساته والدفاع عنها

[١١٦] -انظر:الديوان/ ص ٤٤

[١١٧] -يقصد بها بقايا المسلمين هناك بعد سقوط الأندلس في أيدي النصارى، وهى كلمة تحمل في هذا السياق دلالة غير حميدة.

[١١٨] -انظر:استراتيجيات الخطاب قراءة تداولية-عبد الله الشهري- مرجع سابق ص ٢٥٧

[١١٩] -انظر:الديوان/٤٦

[١٢٠] -الرومانتيكية –د/محمد غنيمي هلال-نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ص ١٥٣

[١٢١] - أدب المهجر: د/صابر عبد الدايم- مرجع سابق / ص٣٩

[١٢٢] -المرجع نفسه/ ص ٤١

[١٢٣] -انظر:الديوان ص ١١٦

[١٢٤] -انظر:نفسه /نفس الصفحة

[١٢٥] -انظر:نفسه /نفس الصفحة

[١٢٦] -المرجع نفسه ١٧٠-١٧١

[١٢٧] -انظر/نفسه /ص ١١٨-توجد كهوف (نيرخا) بالقرب من مدينة مالقة ، ويرجع إنشاؤها إلى عهد الفينقيين

[١٢٨] -انظر:نفسه /نفس الصفحة

[١٢٩] -انظر الديوان:١٥٢

[١٣٠] -انظر:نقسه /نفس الصفحة

[١٣١] -انظر:نفسه /نفس الصفحة

[١٣٢] انظر:نفسه /ص ١٥٣

[١٣٣] -انظر:نفسه /نفس الصفحة

[١٣٤] -بلدة شمالي إسبانيا

[١٣٥] -أحد قواد إسبانيا الذين شاركوا في طرد العرب والمسلمين ، وعرف عنه كثرة قتله ودمائه.

[١٣٦] -انظر:الديوان /ص ١٥٣

[١٣٧] -الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر -مرجع سابق-٤٣٥

[١٣٨] – نفسه/ ص ٣٤٤

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

-الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – د/عبد القادر القط -بدون ط-مكتبة الشباب-القاهرة-١٩٨٨م

-أدب المهجر:د/عيسى الناعوري – ط٣-دار المعارف-١٩٦٦م

– أدب المهجر:دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري د/صابر عبد الدايم-ط١ دار المعارف بالقاهرة-١٩٩٣م

– استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)-د/ عبد الهادي بن ظافر الشهري-ـــ ط١-دار الكتب الوطنية-بنغازي-ليبيا-٢٠٠٤م

– آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر – د/محمد محمود نحلة- دار المعرفة الجامعية-الاسكندرية ٢٠٠٢م

-التركيب اللغوي للأدب (بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا)-د/لطفي عبد البديع -بدون ط-دار المريخ للنشر ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

-الحنين إلى الأوطان-أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ- ط٢- دار الرائد العربي- بيروت-لبنان-١٤٠٢-١٩٨٢م

– الحنين والغربة في الشعر العربي:(الحنين إلى الأوطان)-يحيى وهيب الجبوري – ط١-دار مجدلاوي -ط١/١٤٢٠/٢٠٠٨م عمان-الأردن

– خصائص التراكيب(دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني-ط٤-مكتبة وهبة القاهرة- ١٤١٦هـ-١٩٩٦م

– الخطيئة والتكفير (من البنيوية إلى التشريحية) -نظرية وتطبيق- د/ عبد الله الغذامي -ط٦-المركز الثقافي العربي -الدار البيضاء -المغرب ٢٠٠٦م

-دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث-د/أحمد درويش-دار غريب -القاهرة -بدون ت-

-دراسة في البلاغة والشعر-د/محمد محمد أبو موسي-ط١-مكتبة وهبة-القاهرة- ١٤١١هـ/١٩٩١م

-دلالات التراكيب(دراسة بلاغية)-د/محمد محمد أبو موسى-ط٤-مكتبة وهبة-القاهرة ٢٠٠٨م

-دلائل الإعجاز- عبد القاهر الجرجاني -قراءة وتعليق محمود محمد شاكر-ط٢- مكتبة الخانجي-القاهرة-١٤١٠هـ-١٩٨٩م

-ديوان امرئ القيس /ضبط وتصحيح/مصطفي عبد الشافي ط٥-دار الكتب العلمية- بيروت -لبنان ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ

-ديوان:(قبل-أثناء -بعد)- محمود صبح شاعر المهجر الإسباني- تقديم د/ أحمد يوسف خليفة- دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر-الإسكندرية ٢٠٠١م

- ديوان ابن زيدون-دراسة وتعليق عبد الله شنده-ط١-دار المعرفة-بيروت -لبنان- ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م

- ذاكرة الشعر...ذاكرة الوطن(الشاعر الدكتور /محمود صبح :طائر فلسطين وغرِّيد صفد المهاجر) -الشاعر الناقد محمود حامد-مؤسسة القدس للثقافة والتراث- الموقع https://alqudslana.com/index.php?action=article&id=2455

- الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)- د/ عز الدين اسماعيل - ط٣- (د-ت) دار الفكر العربي-القاهرة٠

- عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) عبد الحق بلعابد -تقديم د٠سعيد يقطين- ط١ - الدار العربية للعلوم -منشورات الاختلاف-الجزائر-١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

-علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته-د/صلاح فضل-ط١-دار الشروق -القاهرة-١٤١٩- هـ-١٩٩٨م

- فصول في علم اللغة العام-ترجمة د/أحمد نعيم الكراعين- دار المعرفة الجامعية- بالأسكندرية-١٩٨٥م-

-فصول في الشعر ونقده د/شوقي ضيف -ط٣-دار المعارف-١٩٧١م

--فلسفة المكان في الشعر العربي-قراءة موضوعاتيه جمالية-د/حبيب مؤنسي- منشورات اتحاد الكتاب العرب-دمشق-٢٠٠١م

– في الميزان الجديد/ د/ محمد مندورمؤسسة هنداوي للطباعة والنشر – القاهرة– ٢٠٢٠م

–في النقد الأدبي– د/شوقي ضيف– ط٨–دار المعارف–١٩٦٢م

– قصة الأدب المهجري–د/محمد عبد المنعم خفاجي–دار الكتاب اللبناني–بيروت– ط٢ ١٩٧٣م.

–قضايا الشعر المعاصر– نازك الملائكة–ط٣– منشورات مكتبة النهضة ١٩٦٧م

– اللغة واللون – د/أحمد مختار عمر ط٢–عالم الكتب القاهرة– ١٩٩٧

– محمود صبح قنطرة وصل بين الإسبان والعرب–سميح مسعود–الحوار المتمدن–العدد ٥٩٩٣–٢٠١٨/٩/١٣م الموقع على النت http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=611417&r=0

– مختارات من الشعر الأسباني المعاصر– ترجمة د/محمود صبح– ط٢دار الشؤون الثقافية والإعلام–العراق–بغداد–الأعظمية ١٩٨٦م

– مستجدات النقد الروائي–د/جميل حمداوي–ط١–٢٠١١م–بدون مكان طبع.– ص١٠٢

– معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حُقق بعد وفاتهم–محمد خير رمضان يوسف–ج١–مكتبة الملك فهد الوطنية–الرياض ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

– المعجم الوسيط– مجمع اللغة العربية ط٤– مكتبة الشروق الدولية– ١٤٢٥/ ٢٠٠٤م

–مقدمة ديوان–(قبل–أثناء –بعد)–د/أحمد يوسف خليفة–– دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر–الإسكندرية ٢٠٠١م

الموسوعةالحرة(وكيبيديا)
ttps://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D8%AF%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A8%D9%8A
-- النحو الوافي –د/عباس حسن –ط٣–دار المعارف بدون ت –ج١